مؤثرات الإحباط وأساليب التكيف المرتبطة بمعوقات إشباع حاجات المواطن الكويتي أثناء العدوان العراقي

د. بشير صالح الرشيدي

كلية التربية ـ جامعة الكويت

الملخص

استهدفت هذه الدراسة التعرف على الخبرات المحبطة التي تضمنت عوائق أمام إشباع الحاجات النفسية والعضوية للمواطن الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي الغاشم، وكذلك التعرف على أساليب وأنشطة التكيف التي اتبعها هذا المواطن في سبيل التغلب على العوائق بما في ذلك الحيل الدفاعية أو دفاعات (الأنا) باعتبارها أحد مظاهر الاضطراب النفسي في حالات معينة. في إطار هذا الهدف العام حاولت الدراسة اختبار فرضية «الإحباط ـ العدوانية»، وكذلك اختبار تأثير متغير الجنس ومتغير مكان الإقامة أثناء فترة العدوان في الخبرات المحبطة وما يرتبط بها من أساليب تكيف وحيل دفاعية. وقد اعتمدت الدراسة على استبانة مقننة أعدت خصيصاً بما يتناسب مع هدف الدراسة وموضوعها، وتم تطبيق الاستبانة على عينة عشوائية قوامها (١٠٠٠) مفردة، تلك العينة التي تتضمن أربع عينات فرعية كل منها (٢٥٠) مفردة موزعة حسب الجنس (ذكور، إناث) وكذلك حسب مكان الإقامة أثناء فترة العدوان (داخل الكويت، خارج الكويت). توصلت الدراسة إلى نتائج توضح في مجملها شدة وتنوع الأحداث الضاغطة التي خبرها المواطن الكويتي نتيجة صدمة العدوان العراقي، حيث ترتفع نسبة المعاناة بوجه عام حتى وإن وجدت فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات عينة الدراسة في هذا الشأن، وتتمثل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يلي:ـ

(١) تتعلق المواقف المحبطة التي خبرها المواطنون الكويتيون بمعنيين رئيسيين هما انتهاك السيادة الوطنية لبلادهم من جانب العدوان العراقي ثم معوقات إشباع الحاجات الأساسية، ويبدو المعنى الأول أشد إحباطاً لمجموعة الداخل، أما المعنى الثاني فإن بعض عناصره كانت خبرات محبطة لعينة الداخل والخارج على السواء مثل ضم الكويت إلى العراق، وإلغاء جوازات السفر الكويتية، أما البعض الآخر، فقد كان أشد إحباطاً لعينة الداخل (إلغاء الجنسية الكويتية ـ إلغاء العملة والبطاقة المدنية الكويتية، تفريغ الكويت من مواطنيها الأصليين) بينما كانت فكرة التبعية التاريخية أشد إحباطاً لعينة الخارج مقارنة بعينة الداخل، وعلى مستوى متغير الجنس، تبين وجود

فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث (حيث ترتفع بين مجموعة الذكور) فيما يتعلق بإلغاء الجنسية والبطاقة المدنية وتفريغ البلاد من مواطنيها ـ كخبرات محبطة. أما إلغاء العملة وفكرة التبعية فإن نسبة الاستجابات الدالة عليها كخبرات محبطة ترتفع بدلالة إحصائية بين الإناث عن الذكور. وفيما عدا هذه العناصر لم يتضح من الدراسة وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية بين الجنسين. وهكذا نتبين أن الخبرات المحبطة تأثرت بمتغير مكان الإقامة أثناء العدوان أكثر من تأثرها بمتغير الجنس. ويجب التأكيد على أن ذلك في إطار ارتفاع نسبة المعاناة من الإحباط بين جميع مفردات البحث.

(٢) من حيث أساليب وأنشطة التكيف التي اتبعها المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان، تبين أنها تدور حول معاني الرفض ومحاولة التغلب على العوائق التي تفترض إشباع الحاجات النفسية والعضوية، كما أنها تؤكد صدق فرضية «الإحباط ـ العدوانية»، وقد تبين أن بعض أساليب وأنشطة التكيف لا تختلف بدلالة إحصائية بين الذكور والإناث، أو بين مجموعة الداخل ومجموعة الخارج، وهذه الأساليب هي: التفكير في الانتقام من رموز العدوان بأي وسيلة ـ المعرفة بتطورات الأزمة ـ تدعيم العلاقات بمن يمكن الاتصال بهم من الكويتيين. أما البعض الآخر فلا تختلف الاستجابات الدالة عليه حسب متغير الجنس وإنما تختلف حسب متغير مكان الإقامة، ويتمثل ذلك في أسلوبين فقط هما: بيع بعض الممتلكات والموجودات وتغيير عادات النوم.

في الوقت نفسه هناك بعض أساليب وأنشطة التكيف التي ترتفع نسبة الاستجابات الدالة عليها ـ بدلالة إحصائية ـ بين الذكور ومجموعة الداخل وهي: جمع المال بقدر المستطاع، إخفاء الأشياء الثمينة، وتغيير مكان الإقامة، وتغيير عادات النوم. وهناك بعض الأساليب التي ترتفع نسبة الاستجابات الدالة عليها بدلالة إحصائية بين الإناث ومجموعة الداخل وهي: تبديل الدينار الكويتي وتخزين السلع والمواد الغذائية وتقليل الخروج من المنزل. أما اتخاذ التدابير اللازمة لتغيير موطن الإقامة إذا تطلب الأمر، فإن نسبة الاستجابات الدالة عليه ترتفع بدلالة إحصائية بين الإناث ومجموعة الخارج مقارنة بالذكور ومجموعة الداخل، وتكشف النتائج التي توصلت إليها الدراسة في هذه الجزئية عن فاعلية دور المرأة الكويتية، كما تكشف عن مدى الإجهاد والضغط الانفعالي الذي خبره المواطن الكويتي بوجه عام وهو بصدد محاولة التغلب على العوائق التي تعترض إشباع حاجاته المادية والمعنوية، الأمر الذي يفسر بعض الأسباب المهمة وراء الأعراض الاضطرابية التي ظهرت بصورة واضحة بعد انتهاء فترة العدوان. لقد جاءت هذه الأعراض كنتيجة حتمية للإجهاد والإنهاك النفسي الذي خبره المواطن الكويتي.

(٣) وإذا كان الإسراف في الحيل الدفاعية من جانب شخصية الفرد يعد أحد مظاهر الاضطراب النفسي الناتج عن الإحباط، فإن هذه الدراسة ـ في حدود المنهج المتبع ـ قد توصلت إلى نتائج ذات دلالة. لقد دلت استجابات المبحوثين على ارتفاع نسبة ظهور الحيل الدفاعية (العقلية) لدى هؤلاء المبحوثين، ولكن هذه الاستجابات دلت في الوقت نفسه على البعض الآخر ممثلاً في القمع والكبت والنقل والتحول والاستدماج وأحلام اليقظة. وعلى ضوء خبرة الباحث في الدراسات المعنية باضطرابات ما بعد الصدمة، وكذلك خبرته في التعامل مع حالات الاضطراب

النفسي ـ فإن الإحباطات الشديدة التي خبرها المواطن الكويتي بصورة متكررة أثناء فترة العدوان العراقي، تمثل سبباً رئيسياً للأعراض الاضطرابية التي ظهرت بصورة واضحة بعد التحرير، ولم يزل ظهورها يتوالى، باستمرار، الأمر الذي يؤكد ضرورة وجود البحوث الجادة والجهود العملية المكثفة بهدف رصد ومحاصرة الأعراض الاضطرابية الناتجة عن صدمة العدوان العراقي.

١ـ مقدمة:

يعرف الإحباط بأنه حالة الفرد عندما تواجهه عقبات أو عوائق تحول دون إشباع حاجاته ودوافعه، ففي هذه الحالة يخبر الفرد نوعاً من الضيق والألم النفسي والتوتر والقلق والاستياء. ويبدو أن المواقف المحبطة وما قد يترتب عليها من اضطراب نفسي في تزايد مستمر على الرغم من التقدم التقني الذي أتاح قدراً محسوساً من الراحة والرفاهية في حياة الإنسان المعاصر، ويرجع هذا التزايد ـ حسب الاتجاه الحديث في الدراسات النفسية ـ إلى التفاعل بين ثلاثة مصادر هي: الوراثة والتعلم الاجتماعي والأزمات البيئية والمجتمعية، فعلى الرغم من أن أحد هذه المصادر ـ بمفرده ـ كفيل بأن يجعل الفرد يخبر الإحباط، إلا أن التفاعل بينها يزيد الحالة تفاقماً بما يترتب على ذلك من أعراض عصابية وذهانية. وحتى مع تثبيت عامل الوراثة، فإن تغير ميكانيزم التأثير الاجتماعي في الشخصية في بداية الحياة (الأسرة ـ الطفل)، قد أفضى إلى هشاشة البناء أو التأسيس النفسي بما يجعل الفرد أكثر عرضة للاضطرابات النفسية بما في ذلك المعاناة من الإحباط (Sherman, 1993) فالأسرة المعاصرة لم تعد تقوم بوظائفها النفسية والتربوية والاجتماعية على غرار ما كانت تقوم به في السابق، لقد أصبح الجزء الكبير من هذه الوظائف النفسية والتربوية والاجتماعية على غرار ما كانت تقوم به في السابق، لقد أصبح الجزء الأكبر من هذه الوظائف تقوم به مؤسسات أخرى، وهذه المؤسسات مهما كانت كفاءتها لا تصل إلى مستوى كفاءة الأسرة عندما تقوم بذلك وفق المعايير التربوية الصحيحة، أضف ذلك التغيرات التي حدثت في بناء الأسرة واختلاط الأدوار، وامتداد خصائص البيئة المعقدة بحيث طالت صميم الوجود الأسري وأعماقه ـ كل هذه العوامل أضعفت من كفاءة

التعلم الاجتماعي في تأصيل البناء النفسي الذي يمكن الفرد من تحمل الإحباطات والظروف الضاغطة فيما بعد.

أما الأزمات التي يمر بها المجتمع المعاصر، فلم يعد ينظر إليها تلك النظرة التقليدية التي تقتصر على الحروب وغيرها من الكوارث الطبيعية والمصطنعة، وإنما تشمل بجانب ذلك تعقد التنظيم، وزيادة السكان، وتعقد الأدوار والضغوط والمتطلبات بحيث أصبحت فوق طاقة الفرد في أحيان كثيرة، لقد صاحب ذلك كله تزايد «المواقف المحبطة» التي يمكن أن يواجهها الفرد في حياته اليومية، هذا لا يعني بالطبع أن «الإحباط» تقتصر أسبابه على المصادر الخارجية (البيئية)، فقد يكون الإحباط ناتجاً عن عوامل داخلية (قصور أو عجز في بعض جوانب الشخصية)، وقد يكون بفعل تأثير قوة الأنا الأعلى (أو الضمير) باعتباره أحد أجهزة الشخصية التي تعارضها في إشباع بعض الحاجات لاعتبارات دينية أو أخلاقية أو ثقافية بوجه عام.

ويميل الاتجاه الحديث في الدراسات النفسية إلى تقسيم الإحباط على أسس متعددة، (فهمي ١٩٧٧) فهناك الإحباط الأولي مقابل الإحباط الثانوي، والإحباط الإيجابي مقابل الإحباط السلبي، ثم الإحباط الداخلي مقابل الإحباط الخارجي، فالإحباط الأولي، يتضمن مجرد الشعور بعدم الارتياح الذي تسببه الحاجة المعنية، أما الإحباط الثانوي فيتضمن إدراك الشخص لعائق معين يحول دون إشباع الحاجة، وأما الإحباط السلبي فيتضمن وجود العوائق فقط دون التهديد أو الخطر، أي أن الإحباط الإيجابي أشد حدة وأعظم أثراً مقارنة بالإحباط السلبي، أخيراً بالنسبة للإحباط الداخلي والإحباط الخارجي، فإن كليهما يتضمن ثلاثة عناصر هي: العوز، الحرمان، الإعاقة. وتختلف هذه العناصر حسب الإحباط الداخلي والخارجي، ففي النوع الأول (الإحباط الداخلي) يكون العوز (أو الاحتياج) ذا صلة بالعيوب والعاهات (الخلقية) التي تعوق إشباع الشخص لحاجاته، مثال ذلك فقدان البصر أو السمع وكذلك الشلل والضعف العقلي أو ضعف الصحة العامة، أما الحرمان الداخلي فيكون

من خلال الإصابة بعيب أو عاهة لم تكن موجودة من قبل، بمعنى أنها (غير خلقية)، وتكون الإعاقة الداخلية ممثلة في الصراع "Conflict" نتيجة عدم قدرة الفرد على إشباع حاجتين في وقت واحد، أما في النوع الثاني من الإحباط (الإحباط الخارجي)، فإن العوز يتضمن نقصاً في حاجات الفرد، فالفقر مثلاً يترتب عليه عدم القدرة على إشباع الكثير من الحاجات، وفقدان الأب أو الأم يترتب عليه عدم قدرة الطفل على إشباع حاجة العطف والرعاية والاهتمام. أما الحرمان الخارجي فيتضمن فقدان الفرد لشيء كان يملكه مثل فقدان العمل أو المنزل، أو مستلزمات الحياة. أخيراً فإن الإعاقة الخارجية تشمل كل العوائق الموجودة في البيئة والتي تحول دون تحقيق الفرد أهدافه وإشباع حاجاته.

ويؤكد علماء الصحة العقلية هذه الرؤية وهم بصدد التمييز بين الإحباط الخارجي والإحباط الداخلي، ففيما يتعلق بالإحباط الخارجي، نجد أن الفرد السليم عقلياً عندما يكون في بيئة غير مهيأة لقبول الحادث النفسي، فإن هذا الحادث يم تعليقه لحين ملاءمة ترتيب الواقع، أو أن يتم توجيه النشاط إلى مجال آخر، فيما يعرف بالإعلاء أو التسامي، وعندما لا يستطيع الفرد التعامع مع الحدث الغريزي بطريقة سليمة، فإنه قد يستجمع كل طاقاته لإشباع الدافع بصرف النظر عن أخلاقيات البيئة، وقد يلجأ إلى حياة الهواجس والتخيل، حيث يخلق تكوينات رغبة جديدة، أو يحيي رغبات منسية. أما الإحباط الداخلي، فمعناه كبح جماح الدوافع الفردية بقوى في اللاشعور أساساً من جانب الأنا الأعلى، كما يدافع الأنا عن نفسه ضد الخطر الخارجي بكبت الدافع، وإن كانت علاقة هذه العملية بالإحباط أو بتأثير غرائز الأنا غير واضحة، غير أن بعض الدراسات النفسية، توضح ملامح أسس هذه العلاقة من خلال ربط الإحباط بالقوى المسببة له (طه، ١٩٨٧)، ففي الحالات التي يعاق فيها إشباع الدافع إشباعاً مباشراً وصريحاً وفورياً يعتبر الفرد في حالة إحباط (لأن هناك دوافع مستثارة دون إمكان إشباعها) فيخبر الفرد مشاعر الضيق والاستياء فيحاول جاهداً التقليل منها، والخروج من هذه الحالة، وهنا يصطنع (الأنا) ما يعرف

بحيل التوافق حتى يمكن حل الصراع الذي يدور بين الدافع الذي يلح في طلب الإشباع من جهة والقوى التي تقف حائلاً دون هذا الإشباع من جهة ثانية، وبموجب هذه الحيل ترضي الرغبات المتعارضة لكل من (الهو) والدافع الأنا الأعلى، ولكن هذا لا يعني بطبيعة الحال حل المشكلة المسببة للإحباط.

وكثيراً ما يرتبط بالعديد من الأمراض النفسية والعقلية مثل الهستيريا والنساوة (فقدان الذاكرة) والجوال النومي والفصام، وغير ذلك من الاضطرابات التي تشكل خطورة بالغة على الشخصية سواء من المنظور البدني أو النفسي أو الاجتماعي، فعلى سبيل المثال، نجد أن مريض الهستيريا يتصف بالطفلية في سلوكه وكذلك بالأنانية والفرار من تحمل المسئولية وتقلب الانفعالات والمبالغة فيها، فيبكي بحرقة ويضحك لأتفه الأسباب، يحب بعنف ويكره بعنف، سريع الشكوى ويكثر منها لاستدرار عطف الناس ليكون محور اهتمامهم، كما يكون شديد القابلية للتأثير بالإيحاء، ومهيأ لأن يتقمص انفعالات الناس، فيبكي لبكائهم ويضحك لضحكهم ولكن في ضحالة مذرية، وفي الهستيريا التحويلية يشكو المريض من آلام متعددة تنتقل من عضو إلى عضو بالجسم، وقد تكون هذه الأعراض حسية أوحركية، أما في الهستيريا الانفصالية فيصل الأمر إلى أن يشكو المريض من فقدان الذاكرة والتجوال النومي والتوهان الهستيري (صادق. ١٩٨٥)، (عوض، ١٩٨٩) في حالات فقدان الذاكرة على سبيل المثال، تسيطر فكرة معينة على الفرد (حيث تصاب العقلية الشعورية) فتنفصل أجزاء من حياته وتبقى أجزاء أخرى، ويظل يتصرف بطريقة آلية وإن كان يشعر بأنه قد فقد شيئاً ما، وقد لا يعرف شيئاً عن اسمه، أو محل إقامته، أو عائلته، فنجده كالتائه يبحث عن شيء لا يعرفه وليس محددا في ذهنه ويجول دونما هدف في أماكن بعيدة عن إقامته، من جهة أخرى يرتبط الإحباط (بالتجوال النومي) وهذا المرض ما هو إلا حلم حقيقي يشبع فيه المريض رغباته المكبوتة ويحل فيه ـ توهماً ـ محل ما يعاني منه من مشكلات معلقة، إنه يتجول مفتوح العينين وعلى الرغم من ذلك يكون جهازه العصبي في حالة نوم، وعندما يستيقظ ينسى كل ما قام به،

وينسى كذلك ما حدث له أثناء التجوال النومي، ومن الأمثلة الأخرى للأعراض العقلية المرتبطة بالإحباط، مرض الفصام، وهذا المرض ـ هو الآخر ـ من الأمراض المستعصية على العلاج في الطب النفسي والعقلي، وقد يتخذ صوراً حادة أو مزمنة وعلى الرغم من أن هذا المرض، لا يرجع إلى عامل سببي واحد، إلا أن بعض النظريات النفسية تذهب إلى أنه ينتج عن عقد مدفونة في اللاوعي، وأن هذه العقد مهمة في إحداث الأعراض المرضية، ويذهب (ماير) إلى أن المرض هو نتيجة استمرار عجز الفرد عن تكييف نفسه مما يؤدي إلى وجود ردود فعل بإيولوجية مرضية، والعجز عن التكيف هو نوع من الإحباط. أما عن أعراض الفصام، فقد أورد الخبراء النفسيون (٣٦٠) عارضاً ممكناً في هذا المرض، وأنذر آخرون (٧٥) مظهراً من مظاهر الاضطراب السلوكي، ولكن (بلوير) حدد أربعة أعراض واعتبرها أعراضاً أساسية. بينما ما سواها يعتبر أعراضاً إضافية قد تكون موجودة أو غير موجودة، هذه الأعراض الأربعة تتمثل في: (١) اضطراب الترابط: فالمريض يفقد المقدرة على ربط الأفكار بعضها ببعض، ولهذا يظهر تفكيره بأنه مشوش وغير منطقي أو موضوعي، (٢) الذاتية: حيث يتجه معظم تفكير المريض إلى ذاته، وتظهر فيه الخيالات وأحلام اليقظة والهلاوس والأوهام وفقدان الارتباط بالواقع، (٣) عدم التوافق العاطفي: فالمزاج غير ثابت ومبالغ فيه ولا يتوافق مع الواقع أو المحتوى الفكري، (٤) ثنائية الشعور: بمعنى أن يكون لدى المريض شعور متضارب ومتعارض نحو الموضوع الواحد أو الشخص الواحد (كمال، ١٩٨٩).

هذه بعض أمثلة للأمراض النفسية والعقلية المرتبطة بالإحباط، بمعنى أن الشخص الذي يعاني من الإحباط، يكون أكثر عرضة للإصابة بالأمراض.

٢ـ مشكلة الدراسة:

عندما يخبر الفرد موقفاً يتضمن عراقيل أمام إشباع حاجاته ودوافعه، فإنه يقوم بسلوك هادف إلى التغلب على هذه العراقيل، ويسمى هذا السلوك بالتوافق

"Adjustment"، إنه محاولة من جانب الفرد، لمواجهة متطلبات الذات ومتطلبات البيئة "Lazarus, 1969"، ولكن هذا السلوك ـ أو النشاط التوافقي ـ من جانب الفرد قد تواجهه عراقيل مختلفة، فإذا لم يتمكن من التغلب عليها يصبح عرضة للشعور بالإحباط، وقد تكون العراقيل التي تواجه التوافق في صورة عراقيل مادية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، بالإضافة إلى العيوب الشخصية والصراع النفسي (نجاتي، ١٩٩٣)، وإذا كانت الحياة المعاصرة بطبيعتها تتضمن الكثير من المواقف المحبطة، وكذلك الكثير من العراقيل التي تواجه النشاط التوافقي للفرد، فإن هذه المواقف والعراقيل تصبح أشد حدة وسخفاً عندما يحل بالمجتمع كارثة شاملة غير متوقعة، وغير مقبولة من المنظور النفسي والاجتماعي ـ وهذا ما حدث للمجتمع الكويتي عندما خبر محنة العدوان العراقي في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، فمع وقوع العدوان خبر المواطن الكويتي ضغطاً انفعالياً شديداً استمر لمدة سبعة أشهر، كما خبر العديد من المواقف المحبطة، وعانى من العراقيل التي تحول دون توافقه مع تلك المواقف أو تجعل هذا التوافق بالغ الصعوبة، فبالنسبة للعراقيل المادية تمثلت بشكل خاص في تدهور المرافق والخدمات بكافة مستوياتها بدرجة جعلت من الصعب على المواطن أن يلبي حاجاته الأساسية، بينما تمثلت العراقيل الاجتماعية في جيش العدوان ورموزه، وممارساتهم القمعية بما قيد من حرية المواطن الكويتية في التحرك والانتقال، بالإضافة إلى مداهمة المنازل والتفتيش والسطو المسلح، كما أصدرت سلطة العدوان القوانين والمراسيم التي تقيد إدارة المواطنين وتصطدم بأبسط حقوقهم في الحياة، وعمل على اجتثاث تقاليد كويتية صميمة وإحلال تقاليد عراقية غير مقبولة في البيئة الكويتية سواء من المنظور النفسي أو من المنظور الإنساني، وإذا كانت الناحية الاقتصادية تسبب الإحباط أو لا تسببه، فإن المواطن الكويتي قد خبر ظروفاً اقتصادية في غاية الصعوبة، لقد استولى رموز العدوان على البنوك فخسر المواطنون أموالهم ومدخراتهم، وتعطلت ماكينات الصرف الآلي، وانخفضت قيمة الدينار الكويتي بعد مساواته بالدينار العراقي، ولم يعد بإمكان المواطن التصرف في ممتلكاته بالبيع إلا بأبخس الأثمان وبصعوبة بالغة، في الوقت

الذي ندرت السلع الغذائية والأطعمة وفقد الموظفون وظائفهم، وخسر التجار أموالهم وتعطلت المشاريع والأنشطة ـ كل هذه العوامل كانت بمثابة عراقيل اعترضت إشباع الحاجات العضوية والنفسية للمواطن الكويتي، وارتبطت بها العديد من المشاكل التي واجهته وهو بصدد التغلب عليها.

من جهة أخرى فإن التناقض الذي خبره المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان تزداد معه احتمالات المعاناة من الصراع النفسي، فمن المعروف أن الصراع قد يحدث بسبب وجود تناقض أو تعارض بين رغبتين أو أكثر من رغبات الفرد، وفي بعض الحالات يكون الصراع لا شعورياً، بمعنى أن تكون الرغبات غير مدركة وغير واضحة في الشعور بسبب ما تلاقيه من كبت، وعلى ضوء معايشة الباحث لظروف العدوان، فإن المواطن الكويتي خبر مواقف تتضمن رغبات متعارضة ربما بدرجة تفوق الحصر، لقد وقع البعض في التناقض بين الرغبة في البقاء والرغبة في المغادرة، فالبقاء يصاحبه مخاطر ومشاق لا تحتمل، وأشد منه المغادرة بجانب ما تتضمنه من رغبة العدوان ومراميه، كما وقع بعض المواطنين في التناقض بين الرغبة في الاستمرار في العمل أو عدم الاستمرار، فالاستمرار يضمن له الدخل ولو بصورة محدودة، ولكن غير مقبول من المنظور النفسي ومنظور الكرامة الوطنية ومنظور الجماعة، في الوقت نفسه، فإن عدم الاستمرار في العمل سينتج عنه الحرمان من الدخل وقد يعرضه للعقاب القانوني والبدني من جانب سلطات العدوان. هكذا كان المواطن الكويتي يخبر العديد من الرغبات المتناقضة في الخروج من المنزل أو عدم الخروج، إلحاق الأبناء بالمدارس أو عدم إلحاقهم، تأمين سفر النساء والشيوخ خارج البلاد أم لا، مقاتلة رمز العدوان أم لا، بيع بعض الممتلكات أم لا، . . . إلخ.

بجانب ذلك تضمنت خبرة العدوان أن شعر بعض المواطنين بالضعف أمام جبروت جيش العدوان ومعداته وجحافله، فالشعب الصغير الأعزل، وجد نفسه في مواجهة قوة جيش كبير مسلح مثل جيش العدوان، وقد كان ذلك بمثابة عائق لدى كثير من المواطنين يحول بينهم وبين إشباع دافع إثبات الذات والسيطرة،

وشعر البعض بالعجز عن الدفاع عن أنفسهم ووطنهم، وعلى الرغم من صور البطولة التي أبداها الشعب الكويتي ضد العدوان، إلا أن ذلك لم يكن كافيا ليشفي غليلهم ويسترد كرامتهم أمام أنفسهم وأمام العالم، وهو الأمر الذي تحقق فيما بعد بفضل الله، وإرادة الشعب، وإرادة القيادة، وإرادة المجتمع الدولي، ولكن حدوث العدوان ـ الحدوث في حد ذاته ـ أدركه البعض كعدم قدرة على الصمود ضد العدوان، هذا الإدراك الذي يقوم على جوانب معرفية خاطئة من شأنه أن يفضي إلى حالات من الصراع النفسي، وهو أمر أكدته العديد من الدراسات التي أجريت على حالات العصاب في الدول الأوروبية التي غزتها قوات ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية. (Weisaeth & Eitinger, 1991).

وعلى ضوء الاتجاهات الحديثة في التعامل التشخيصي والعلاجي للإحباط المرتبط باضطرابات ما بعد الصدمة تحت وطأة الكوارث المجتمعية الشاملة، فإن الأزمات التي يخبرها الفرد تتسم بتركيبة معقدة من الأحداث الضاغطة وتتفاوت هذه الأحداث في حجم وطبيعة مساهمة كل منها في الإحباط الذي يخبره الفرد، وهناك ضرورة لمعرفة ترتيب وأهمية هذه الأحداث باعتبار أن هذه المعرفة تتيح مادة ذات ثراء وتنوع أمام الاختصاصيين النفسيين في سياق تعاملهم مع الحالات (Cases)، بحيث تكون هذه المادة جزءاً من المقابلة والحوار بين الاختصاصي والحالة، فإذا كانت استجابات الحالة تعبر عن الأهمية النسبية للمواقف المحبطة، يتمكن الاختصاصي أن يطور أسئلة وينمي الحوار في اتجاه تعديل الآثار المترتبة على الاستجابة المعرفية الخاطئة، وإذا كانت الحالة غير مدركة لهذه المواقف، فإن الاختصاصي ـ على ضوء معرفته بالمواقف المحبطة الأكثر وضوحاً، كما أظهرت ذلك الأبحاث ـ سيثير مثل هذه المواقف مع الحالة في ذات الاتجاه السابق. وهكذا يتضح أن الشق الأول في مشكلة البحث هو: المواقف المحبطة الأكثر وضوحاً نتيجة خبرة العدوان العراقي. كما تدل عليها استجابات عينة المبحوثين.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الفرد عندما يخبر الإحباط بسبب وجود عائق

ما يمنعه من الوصول إلى هدفه وإشباع دوافعه، فإنه عادة يقوم بكثير من المحاولات المختلفة التي تهدف إلى التغلب على العائق والوصول إلى الهدف الذي يشبع الدافع، ويلجأ الفرد في البداية إلى الطرف المباشرة مثل زيادة المجهود، تغيير الهدف، تغيير الطريقة ـ ويكون ذلك من خلال أنشطة وسلوكيات على ضوء ظروف بيئة الإحباط، وتمثل هذه الفكرة الشق الثاني من مشكلة الدراسة، ومنها يتضح أن هناك مستويين للبحث هما محاولات المواطن الكويتي الرامية إلى التغلب على المواقف المحبطة المرتبطة بخبرة العدوان، ثم مجالات هذه المحاولات، ولكن ماذا يكون الوضع النفسي للفرد إذا أخفقت الطرق المباشرة في التغلب على الشعور بالإحباط الناتج عن عرقلة إشباع الحاجات؟ من المعروف في الدراسات النفسية أن إخفاق الطرق المباشرة في التغلب على الإحباط، ينتج عنه استمرار حالة التوتر النفسي بما يسبب الكثير من الألم والضيق، فيلتمس الفرد طرقاً غير مباشرة هادفة إلى تخفيف حدة التوتر النفسي وتقليل حالة الضيق، وتعرف الطرق غير المباشرة بالميكانيزمات العقلية "Mental Mechanism"، وهذا هو الشق الثالث من مشكلة البحث.

٣ـ الإطار النظري والدراسات السابقة:

يكون الإحباط أشد حدة وأعمق أثراً في الشخصية عندما يكون العائق الذي يحول دون إشباع الحاجة مرتبطاً بالأزمة أو الحدث الضاغط، ففي هذه الحالة يخبر الفرد مشاعر القلق والتوتر والألم النفسي، بشكل عنيف وقد ناقش (Hunt, 1988) كيف أن الأزمات تشكل أساساً للقلق بما يؤدي بالفرد إلى سوء التوافق الشخصي والاجتماعي نتيجة فقدان الاتزان النفسي، أما (Johnson,1988) فقد صنف الإحباط ضمن الأعراض الانفعالية التي ظهرت لدى الأفراد الذين تعرضوا للصدمات، ولما كانت خبرة العدوان العراقي بما فيها أزمات وصدمات نفسية، تضمنت مشاعر الإحباط التي خبرها المواطن الكويتي، فإنها تدخل ضمن ردود الفعل للصدمة، تلك الردود التي كانت ولم تزل مجال اهتمام رئيسي للنظريات النفسية خاصة نظرية المعرفة ونظرية التعلم، وبموجب هاتين

النظريتين، فإن هذه الردود تظهر غالباً بعد الصدمة بفترة طويلة نتيجة لمتغيرات نفسية أو شخصية أو بيئة معينة، ويفترض فيها وجود حاجز نفسي واحد يحول دون استحضار المصاب للصدمة، ويمثل هذا الحاجز العقبة التي يؤدي تجاوزها أو تصدعها إلى توقف وظائف مبدأ اللذة أو إلى نكوص الضحية إلى مستوى بدائي من السلوك المبكر مع معاناة الشعور بالعجز الكامل والتكرار الاستحوازي للمعلومات والصور المؤلمة للحادث، وقد يلجأ إلى الحيل الدفاعية اتقاء ظهور الخبرة المؤلمة في دائرة الوعي، وبموجب نظرية المعرفة ونظرية التعلم فإن هناك ثلاث مراحل لردود أفعال ما بعد الصدمة، ففي المرحلة الأولى توجد ردود أفعال تشتمل على الإنكار "Denial" والخدر أو الخدل "Numbness" وتمثل هذه المرحلة حيلة دفاعية تهدف إلى منع ظهور صور ومظاهر أحداث الخبرة الصادمة في دائرة الوعي، وقد تقترن ردود الفعل بالاغتراب أو الانعزال عن خبرات الحياة اليومية العادية، أما المرحلة الثانية فيتم فيها التمثيل التدريجي للمعلومات والصور المرتبطة بالصدمة، وقد تستغرق عملية التمثل وقتاً طويلاً بعد الصدمة الأمر الذي يؤدي إلى تأخر ردود الفعل لها، كما أن هذه العملية قد تؤدي إلى ظهور بعض الأعراض الاضطرابية مثل الأحلام المفزعة، وأحلام اليقظة وتكرار الأفكار الاستحوازية والتقلب المزاجي والثورات الانفعالية، وقد يحدث خلالها السلوك العدواني المتجه نحو الذات والخوف من فقد الضبط للسلوك القهري، وقد لوحظ أن هذه الأعراض ظهرت على ضحايا الحرب الفيتنامية بعد عدة سنوات من عودتهم إلى الحياة المدنية، وفي المرحلة الثالثة والأخيرة يتم التكامل والتمثل ويؤدي ذلك إلى تحقيق التوافق، وتؤدي الصعوبة في ذلك بدورها إلى أعراض اضطرابية مثل الشعور بالدونية والخجل، وضعف الشخصية والإحباط والعجز (الفقي، ١٩٩٣) على هذا الأساس، فإن المواقف المحبطة التي خبرها المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي، لا تنفصل بأية حال من الأحوال عن الأعراض الاضطرابية التي كشفت عنها دراسات عديدة أجريت في المجتمع الكويتي بعد العدوان، وعلى ضوء نتائج هذه الدراسات فإن العوارض النفسية والاجتماعية والتربوية تفوق في خطورتها أية آثار مادية أخرى خلفها العدوان

العراقي على المجتمع، فبجانب ارتفاع نسبة الإصابة، نجد أن البحوث الإمبيريقية، تكشف عن أن العوارض المذكورة قد تنوعت ما بين أعراض معرفية وانفعالية وبدنية وسلوكية، وعلى ضوء المسح الشامل للدراسات المعنية باضطرابات ما بعد الصدمة في المجتمع الكويتي، تبين أن الجزء الأكبر منها يختص بالأعراض الاضطرابية لدى الأطفال والمراهقين من التلاميذ والطلاب في مختلف مراحل التعليم ومن أهم الدراسات في هذا الخصوص: دراسة المشعان (١٩٩٣) ودراسة الديب (١٩٩٣)، ودراسة درويش (١٩٩١) ودراسة سهل (١٩٩٢) ودراسة عبدالمتعال وآخرين (١٩٩١)، من جهة أخرى اهتمت مؤسسات دولة الكويت بالأعراض الاضطرابية التي خلفها العدوان العراقي على أطفال وشباب الكويت من ذلك مثلاً دراسة مكتب الإنماء الاجتماعي (١٩٩٣)، دراسة وزارة الإعلام (١٩٩٣)، ودراسة إدارة الخدمة النفسية بوزارة التربية (١٩٩٣) دراسة الخدمة الاجتماعية بوزارة التربية (ديسمبر ١٩٩٢)، دراسة إدارة الخدمة النفسية بوزارة التربية (١٩٩٢) وكذلك دراسة إدارة الخدمة الاجتماعية بوزارة التربية (نوفمبر ١٩٩١) هذه الدراسة وغيرها اهتمت بالأعراض الاضطرابية لدى قطاعات معنية وهم الأطفال والمراهقون والشباب في مراحل التعليم المختلفة، واعتمدت على الخلفية النظرية والمنهجية بما في ذلك أساليب التحليل الإحصائي والتي بينت فداحة الآثار النفسية والاجتماعية والتربوية التي نتجت عن العدوان العراقي بوجه عام، وكيف أن هذه الآثار يختلف بعضها وفق متغيرات الجنس والسن والصف الدراسي، ومكان الإقامة أثناء العدوان، وكذلك وفق الأضرار والأحداث الضاغطة التي خبرها المبحوثون.

بجانب هذه الدراسات، وجدنا أيضاً بعض البحوث الأخرى التي قامت على رصد وتحليل الأحداث الضاغطة التي خبرها المواطن الكويتي بوجه عام وما يمكن أن ينتج أو نتج بالفعل عن هذه الأحداث من أعراض اضطرابية متنوعة من ذلك مثلاً (دراسة العمر، ١٩٩٣)، ودراسة (القرشي، ١٩٩٣) ـ هذه

المجموعة من البحوث والدراسات بما توصلت إليه من نتائج ـ هي الأكثر دلالة لموضوع وهدف دراستنا الحالية. لقد بينت دراسة (العمر ١٩٩٣) مثلا أن منشأ الآثار الناجمة عن العدوان العراقي يتمثل في عدة أسباب أهمها: الاختلال الحاد والمفاجيء في الحياة اليومية ـ دور الإعلام العراقي (الدعاية العراقية)، فقدان الأمن والأمان ـ انعدام مقومات الحياة الأساسية ـ فقدان الرعاية الصحية ـ فقدان القيمة الذاتية للفرد ـ الضغط الناجم من الخوف على أفراد الأسرة ـ الإرهاب المفرط ـ نوعية القوات المحتلة. لقد مثلت هذه الأسباب في الوقت نفسه مواقف إحباط خبرها المواطن الكويتي، وتذهب الدراسة المذكورة إلى أن الآثار النفسية في ظل ظروف بهذه الأسباب ـ ينتج عنها أعراض اضطرابية شديدة الخطر مثل الخوف، الترقب والتوتر، الكبت والقلق، الاكتئاب، البرود العاطفي، الارتجاف والإجفال عند سماع الأصوات العالية، الانحسار في مدى عمليات التفكير، أما الأنماط السلوكية، والتي تعتبر مؤشراً لطبيعة الحياة النفسية في ظل الظروف المذكورة، فإن أهمها يتمثل في المغالاة في تخزين الأغذية، والرغبة في تخزين السلام، والرغبة في الانتقام. فمثل هذه الأنماط السلوكية، في السياق الذي نتحدث عنه، ترتكز على أساس علمي فيما يعرف بفرضية: «الإحباط ـ العدوانية»، فالظروف المحبطة التي خبرها المواطن الكويتي، وصعوبة التكيف بفعل عوامل نفسية وبيئية، لابد أن تفضي به إلى أنماط من السلوك العدواني لتحطيم العوائق التي تحول دون إشباع حاجاته ودوافعه النفسية والعضوية، مع ملاحظة أن السلوك العدواني في هذه الحالة إنما هو من قبيل الدفاع عن النفس والأهل والعرض والمال وقتال الفئة الباغية. الدراسة الأخرى ذات الدلالة لموضوع الدراسة الحالية هي دراسة الفقي (١٩٩٣)، وقد أجريت على عينة قوامها (٦٠٠) مفردة من الكويتيين منهم ٤١,٥٪ من الذكور مقابل ٥٨,٥٪ من الإناث، ويتوزعون بين من كانوا في الداخل بنسبة ٨٤٪ ومن كانوا في الخارج بنسبة ١٦٪، واعتمدت الدراسة على استبانة مقننة بالإضافة إلى قائمة «إيزنك للشخصية»، وقد توصلت الدراسة إلى وجود بعض الأعراض العصابية والفصامية لدى مفردات البحث مثل القلق وعدم الاستقرار ـ الملل وفقدان

الحماسة ـ الذهول وعدم الانتباه ـ صعوبة التركز الذهني ـ التردد في اتخاذ القرارات ـ الشعور بالحزن دون سبب ظاهر ـ فقدان القدرة على ضبط النفس ـ سرعة النسيان ـ الميل إلى العزلة والوحدة ـ الأرق وعدم الاستغراق في النوم ـ التعرض كثيراً لنوبات الصداع ـ سرعة الشعور بالتعب ـ فقدان الثقة في كثير من الناس ـ الشعور بالآلام والأعراض البدنية ـ الإصابة ببعض أمراض الحساسية ـ عدم الرغبة في تناول الطعام ـ الميل إلى العنف والتصرفات العدوانية ـ كثرة التوتر وسرعة الاستثارة ـ فقدان الشعور بالسعادة في الحياة ـ الشعور باليأس والضيق بالحياة ـ القلق وعدم الاطمئنان على المستقبل ـ فقدان الاهتمام بكل شيء ـ توقع الشر والأذى والعدوان ـ الخوف من الخروج ليلاً.

إن هذه الأعراض الاضطرابية وغيرها مما كشفت عنه الدراسة النفسية التي أجريت في المجتمع الكويتي بعد التحرير، تعكس مدى فداحة الأزمات والأحداث الضاغطة التي خبرها المواطن الكويتي أثناء العدوان، ولما كانت المواقف المحبطة تمثل أحد الجوانب الرئيسية في تلك الأزمات والأحداث، يصبح من الضروري عدم الاقتصار على العوارض النفسية، وإنما لابد من تحليل خبرة الإحباط ككل، خاصة من حيث المواقف المحبطة وما يرتبط بها من معوقات إشباع الحاجات وأساليب التكيف للتغلب على هذه المعوقات. وهكذا يتضح موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة، فالدراسة الحالية تسعى للتعرف على خبرة الإحباط واختلاف مظاهرها وفق متغيرات معينة باعتبار أن ذلك من متطلبات الجهد العملي المنظم في سياق رصد ومحاصرة الأعراض الاضطرابية المرتبطة بالضغط النفسي الذي خبره الشعب الكويتي أثناء فترة الاحتلال فالدراسة بذلك تبحث فيما هو كامن وراء الأعراض الاضطرابية الظاهرة، وتحاول أن تنتقل به من سياق العمومية والغموض وعدم التحديد إلى دائرة الضوء والتحديد في غمار الجهود التي أقرت من جانب المجتمع والدولة بشأن إعلان الحرب على الآثار النفسية والاجتماعية والتربوية التي خلفها العدوان العراقي الغاشم على المجتمع الكويتي.

خطة الدراسة الحالية وإجراءاتها

(أ) هدف الدراسة:

لما كان حدوث العدوان العراقي ـ في حد ذاته ـ يمثل أزمة نفسية ضاغطة، فإنه من الطبيعي أن تتفاقم آثار هذه الأزمة بالنظر إلى الممارسات اللاإنسانية لقوات العدوان منذ الساعات الأولى من قدومها إلى دولة الكويت، وبجانب تلك الممارسات اللاإنسانية، فإن إدارة شؤون البلاد من قبل رموز العدوان قلبت حياة المواطن الكويتي رأسا على عقب، لقد تغير البرنامج اليومي، ونمط الحياة المعتاد الذي ألفه الفرد والأسرة الكويتية، كما تبدلت حياة الرفاهية لتحل محلها حياة أخرى كئيبة مفعمة بالصعوبات والعوائق الحياتية والنفسية من واقع مواقف محبطة خبرها المواطن الكويتي، وكان من الطبيعي أن تظهر سلوكيات وأنشطة تكيف للتلاؤم مع الواقع الجديد، وهذا يعني اضطرار الفرد إلى مضاعفة الجهود وتغيير الأهداف والأساليب للتغلب على العوائق التي تحول دون الحياة الطبيعية تحت سلطان العدوان هذه العوائق وغيرها من الأحداث الضاغطة تؤدي إلى الاضطرابات النفسية المختلفة بما في ذلك الحيل الدفاعية التي تصطنعها الشخصية للتخفيف الوهمي من التوتر والألم النفسي والقلق المرتبط بالإحباط الناتج عن صعوبات وعوائق حالت دون إشباع الحاجات النفسية والعضوية. على هذا الأساس تستهدف الدراسة الحالية رصد وتحليل خبرة الإحباط لدى المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

(١) ما هي الخبرات المحبطة التي تضمنت عوائق أمام إشباع الحاجات النفسية والعضوية للمواطن الكويتي أثناء فترة العدوان؟

(٢) ما هي الأساليب والأنشطة التكيفية التي اتبعها الموطن الكويتي للتغلب على العوائق التي اعترضت إشباع حاجاته؟ وإلى أي حد تصدق فرضية الإحباط ـ العدوانية من واقع هذه الأساليب والأنشطة؟

(٣) إلى أي حد ارتبطت الخبرات المحبطة بالإسراف في الحيل الدفاعية كأحد مظاهر الاضطراب النفسي؟

(٤) هل توجد فروق دالة إحصائياً بين المبحوثين وفق متغير الجنس ومتغير مكان الإقامة (الداخل والخارج) من حيث الخبرات المحبطة وما يرتبط بها من أساليب تكيف وحيل دفاعية؟

(ب) أداة جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة على استبانة صممت خصيصاً لتحقيق هدف الدراسة والإجابة عن التساؤلات المطروحة، وقد تم تحديد محتوى الاستبانة من واقع السجل اليومي للأحداث الذي كان الباحث يعده أثناء فترة العدوان العراقي، بجانب ما كانت تنشره وسائل الإعلام، وكذلك من واقع المقابلات والتعامل اليومي المباشر مع المجتمع الكويتي بالإضافة إلى الكتابات والبحوث النفسية والاجتماعية المرتبطة بموضوع البحث، وقد مرت الاستبانة بعدة مراحل بدءاً من جمع مادة المحتوى وصياغتها في بنود قابلة للاستجابة من جانب المبحوثين وانتهاء بعملية التكويد والطباعة، جاءت الاستبانة في صورتها النهائية متضمنة أربعة وثلاثين بنداً بجانب عشرة بنود لزوم إجراء الثبات، علاوة على الخصائص العامة للمبحوثين، وتغطي بنود الاستبانة ثلاثة مجالات أساسية، الأول: أهم المواقف والخبرات المحبطة التي خبرها المبحوث، الثاني: أساليب وأنشطة التكيف، الثالث: الحيل العقلية (الدفاعية)، الاستبانة ذات بنود مغلقة، وإن كانت في الوقت نفسه تتضمن ما يمكن المبحوث من التعبير عن نفسه إذا كان يرى ذلك وأرفق بها دليل إرشادات واضحة لكيفية ملء الاستبانة وسرية البيانات، من جهة أخرى خضعت الاستبانة لعملية تقنين من حيث الصدق والثبات على النحو التالي:

الصدق Validity

تم اتباع أسلوب صدق المحتوى (Content Validity) حيث خضع مضمون

الاستبانة لفحص دقيق ومنتظم بهدف التأكد من أنها تشتمل على الجوانب الأساسية للموضوع مجال الدراسة ممثلة في: عوائق إشباع الحاجات (المواقف المحبطة) أساليب وأنشطة التكيف، ثم الحيل الدفاعية أو العقلية. وقد اعتمد الباحث في ذلك على سجل شامل يتضمن خلاصة ملاحظات مقصودة قام بها أثناء فترة العدوان العراقي. وكذلك على المقابلات مفتوحة الأسئلة التي أجراها مع أفراد مجموعة من الأسر الكويتية بعد التحرير مباشرة. وبموجب ذلك تم إعداد وصف تفصيلي لكافة محتويات الجوانب المشار إليها، وصياغتها في صورة أسئلة، بنود قابلة للاستجابة والقياس ـ بهدف التأكد من الترابط بين: (١) الأسئلة/ البنود (٢) الاستجابات. (٣) موضوع البحث، وتمت مناقشة الاستبانة مع مجموعة من المتخصصين بهدف التأكد من أن جميع الجوانب الأساسية يتضمنها محتوى الاستبانة بصورة ملائمة وبالنسب الصحيحة، وعلى ضوء هذه المناقشة أجريت التعديلات المقترحة على الاستبانة سواء فيما يتعلق بإعادة صياغة وترتيب بعض البنود أو إضافة بنود جديدة وحذف بنود أخرى جاءت الأداة مستوفية الكفاءة في القياس حسب طبيعة الموضوع وأهدافه وحسب آراء المحكمين في الوقت نفسه.

(٢) الثبات Reliability :

تم إجراء الثبات بطريقة إعادة الاختبار حيث طبقت الاستبانة في صورتها النهائية على خمسين مفردة، وبعد أسبوعين أعيد التطبيق على المفردات نفسها، وتم حساب معاملات الارتباط ـ لكل مفردة على حدة ـ بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني، وتبين أن ٨٠٪ من المفردات حققت ثباتاً بحد أدنى ٠,٩٠، أما بقية المفردات فقد حققت ثباتاً بحد أدنى قدره ٧٥, وهذه نسبة ثبات مرتفعة تؤكد صلاحية الأداة، والاطمئنان إلى ما يتم التوصل إليه من نتائج. وتجدر الإشارة إلى أن هناك إجراءات أخرى للثبات تم تطبيقها في هذه الدراسة ولكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى طريقة إعادة الاختبار.

(جـ) عينة الدراسة:

أجريت هذه الدراسة على أربع عينات بلغ إجمالي مفرداتها (١٠٠٠) مفردة بواقع (٢٥٠) مفردة لكل عينة من الذكور والإناث الذين كانوا بالداخل أثناء العدوان، المنطق نفسه للذكور والإناث الذين كانوا بالخارج، وجميعهم من الكويتيين الذين يقعون في المرحلة العمرية ثلاثين سنة فأكثر، وقد تم اختيارهم عشوائياً من العاملين في وزارات الدولة ومؤسساتها (الحكومية)، اتخذت كشوف الأسماء كإطار للمعاينة (Sampaling Frame) وروعي في الاختيار العشوائية الكاملة بمعنى إتاحة الفرصة لكل مفردة أن يتم اختيارها أخذاً في الاعتبار شمول كافة محافظات الدولة بجانب عدد المفردات المطلوب سحبها وفق متغير الجنس ومتغير الداخل والخارج. توزعت العينة في مجملها توزيعاً متناسباً وفق خصائص المجتمع الكويتي من حيث الجنس والمستوى التعليمي والسن ومحل الإقامة، فمن حيث الجنس والسن تتوزع مفردات العينة على النحو التالي:

جدول رقم (١)

توزيع عينة البحث حسب الجنس وفئات السن

فئات السن	الجنس		المجموع	
	ذكور	إناث	ك	٪
٣٠ -	١٧٠	٢٢٠	٣٩٠	٣٩
٤٠ -	١٣٤	١٤٦	٢٨٠	٢٨
٥٠ -	١٠٦	٧٨	١٨٤	١٨,٤
٦٠ فأكثر	٩٠	٥٦	١٤٦	١٤,٦
المجموع	٥٠٠	٥٠٠	١٠٠٠	٪١٠٠

أما من حيث الجنس ومحافظة الإقامة، فإن العينة تتوزع كالآتي:

جدول رقم (٢)

توزيع عينة البحث حسب الجنس ومحافظة الإقامة

محافظة الإقامة	الجنس		المجموع	
	ذكور	إناث	ك	٪
العاصمة	١١٠	١١٢	٢٢٢	٢٢,٢
حولي	١١٥	١٢٠	٢٣٥	٢٣,٥
الأحمدي	١١٥	١٠٩	٢٢٤	٢٢,٤
الفروانية	١٠٢	١٠٠	٢٠٢	٢٠,٢
الجهراء	٥٨	٥٩	١١٧	١١,٧
المجموع	**٥٠٠**	**٥٠٠**	**١٠٠٠**	**٪١٠٠**

أخيراً من حيث المستوى التعليمي ومكان التواجد أثناء العدوان تتوزع عينة البحث على النحو الآتي:

جدول رقم (٣)

توزيع عينة البحث حسب المستوى التعليمي ومكان التواجد

المستوى التعليمي	مكان التواجد أثناء العدوان		المجموع	
	داخل الكويت	خارج الكويت	ك	٪
أمي	٨٨	٦٤	١٥٢	١٥,٢
يقرأ ويكتب	٤٧	٤٠	٨٧	٨,٧
الابتدائية	١٢٠	٩٠	٢١٠	٢١
المتوسطة	١٠١	١٩٧	٢٩٨	٢٩,٨
الثانوية	٦٥	٦٦	١٣١	١٣,١
فوق الثانوية ودون الجامعة	٣٨	١٩	٥٧	٥,٧
الجامعة فما فوقها	٤١	٢٤	٦٥	٦,٥
المجموع	**٥٠٠**	**٥٠٠**	**١٠٠٠**	**١٠٠**

(د) المعالجة الإحصائية:

بناء على هدف البحث ومحتوى الاستبانة تم ترميز البنود واستجاباتها بصورة كاملة وعقب الانتهاء من العمل الميداني والمراجعة الدقيقة الشاملة لكافة الاستبانات، فإن الرموز الدالة على استجابات المبحوثين، وكذلك الدالة على خصائصهم العامة تم تدوينها بدقة في الجزء المخصص لذلك في الاستبانة، وأدخلت البيانات إلى الحاسب الآلي حيث تم تسجيلها وطبعها وخضعت مرة أخرى للمراجعة بهدف التأكد من أن البيانات المسجلة هي الاستجابات التي أدلى به المبحوثون في كل الاستبانات، وتم استخراج التكرارات والنسب المئوية لكل بنود الاستبانة، وفي المرحلة النهائية من المراجعة تم استخراج معامل (ي) لمعرفة معنوية الفروق بين النسب في الاستجابات وفق متغير الجنس ومتغير الداخل والخارج (وذلك عند مستوى الثقة ٩٥, ، ٩٩).

نتائج الدراسة

فيما يلي عرض ومناقشة للنتائج التي توصلت إليها الدراسة بشأن الخبرات المحبطة التي خبرها المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي ومن ثم الإجابة عن التساؤلات المطروحة وذلك من خلال ثلاثة عناصر:

الأول: المواقف والممارسات المحبطة.

الثاني: أساليب وأنشطة التكيف.

الثالث: الحيل الدفاعية.

سوف يلاحظ القارىء تحليلاً إحصائياً للنتائج التي توصلت إليها الدراسة بشأن العناصر الثلاثة المذكورة، على أساس معنوية الفروق في الاستجابات الدالة على متضمنات كل منها حسب متغير الجنس ومتغير مكان التواجد أثناء فترة العدوان العراقي، ويقترن التحليل الإحصائي لهذه الاستجابات بالتفسير الكيفي لما وراء النتائج الكمية، ومن ذلك تستند الدراسة على خلفية علمية، وكذلك إلى

ملاحظات موجهة قام بها الباحث أثناء فترة العدوان، وتوظيف كل ذلك في مناقشة فرضية الإحباط ـ العدوانية استرشاداً برد الفعل الانتقامي الذي قام به شعب الكويت ضد رموز العدوان العراقي وقواته.

أولاً: المواقف والممارسات المحبطة

من المعروف أن ظروف الحرب تعني أن يصبح الأفراد والجماعات عرضة لأن يخبروا العديد من المواقف التي تتضمن عوائق تحول دون إشباع الحاجات النفسية والعضوية. وتزداد هذه العوائق حدة وضراوة كلما اتسع نطاق الحرب، فلا تكون محددة بمنطقة معينة، وكذلك كلما ارتبطت ممارساتها باغتيال «الهوية الوطنية» لأحد الأطراف من جانب الطرف الآخر، ذلك أن اتساع نطاق الحرب، يعني أنها لا تقتصر على مناطق بعينها وإنما تشمل أكبر عدد من المناطق داخل الدولة وقد تمتد لتشمل الدولة كلها. ويصحب ذلك شعور الأفراد بالتهديد والخطر حيثما كانوا، ليس فقط خطر الجوانب العسكرية، وإنما أيضا خطر انعكاس تأثير هذه الجوانب على حياتهم اليومية بما يعنيه ذلك من صعوبة إشباع الحاجات العضوية من طعام وماء وخدمات متنوعة لا تستقيم بدونها حياة الفرد والجماعة. أما اغتيال الهوية الوطنية، فيقصد به الفصل الإجباري للمواطن عن انتمائه إلى الدولة والمجتمع . هذا الانتماء الذي أصبح جزءاً من النسيج النفسي للفرد والجماعة.

فإذا نظرنا إلى العدوان العراقي على دولة الكويت من هذا المنظور ندرك إلى أي مدى كان هذا العدوان بمثابة خبرة ضاغطة مفعمة بالمواقف والأفكار المحبطة خبرها الإنسان الكويتي، فمن جهة أولى، كان العدوان العراقي يتخذ صفة الشمول بمعنى أنه كان على كل مناطق الدولة بما فيها، ومن فيها وانتشرت قوات العدوان في كافة الأرجاء السكنية وغير السكنية كافة، فلم تعد هناك مناطق آمنة وأخرى غير آمنة، ومع قدوم هذه القوات ارتبكت الحياة ارتباكاً شديداً في كافة أبعادها . وبذلك وقع المواطن تحت طائلة التهديد بالقتل أو

الإصابة، أو الاعتقال والتعذيب، كما خبر معوقات متعددة تعترض سبيله في إشباع حاجاته الأساسية . لقد كان ذلك منذ اليوم الأول للعدوان. ومن جهة ثانية ، على ضوء ما أعلنه العدوان من أنه سينسحب في غضون أيام أو أسابيع في بداية الأزمة خفف نسبياً من هول الصدمة، لقد كان هناك أمل لدى البعض على الأقل بأن الانسحاب سيتم فعلاً، كما كان البعض الآخر لا يمكنه تصور أن قوات العدوان قد أتت بهدف ضم الكويت إلى العراق . أما البعض الثالث فكان ضحية الحيرة، والتشكك وعدم اليقين . لقد جاء ذلك من واقع رصد وتحليل المواقف والأفكار التي عبر عنها المواطنون في سياق أحاديثهم ولقاءاتهم الجماعية في حضور الباحث. ولم تبد مظاهر الإحباط بصورة واضحة إلا عندما أعلن العدوان ضم الكويت واعتبارها محافظة عراقية، وزادت مظاهر الإحباط وضوحاً عندما دخلت فكرة الضم حيز التنفيذ ممثلاً في إلغاء الجنسية والعملة والبطاقة المدنية الكويتية. إلخ، وظلت المشاعر والأفكار خليطاً من الإحباط والأمل، يتغلب أحدهما على الآخر فيما يشبه المتوالية النفسية، إلى أن تأكد الأمل عندما بدأت قوات التحالف في شن هجمات عسكرية مركزة على مواقع العدوان في السابع عشر من يناير ١٩٩١، فقد كان المواطن يرى في الهجوم العسكري لقوات التحالف طريقاً عملياً وصحيحاً لتخلصه من أس البلاء (العدوان) وما ترتب عليه من آلام ومعاناة. لقد كان لذلك «الهجوم» قيمة عظيمة في نفس المواطن الكويتي جعلته مستعداً لتحمل الصعوبات والمواقف المحبطة، لأن «الغمة» قد قربت نهايتها، ولكن ذلك لا يعني انتهاء المواقف المحبطة في حياة المواطن الكويتي، فالواقع أن هذه المواقف ازدادت تكراراً وتفاقماً، وظلت الظروف هكذا إلى أن تم التحرير في أواخر فبراير ١٩٩١، في هذا الإطار حاولت الدراسة أن تتعرف على أهم المواقف والأفكار والممارسات التي جعلت المواطن الكويتي يشعر بحالة من «الإحباط» واختلاف ذلك وفق متغير الجنس ومكان التواجد . فكانت النتيجة الموضحة بالجدول الآتي:

جدول رقم (٤)

أهم مواقف الإحباط التي خبرها المواطن الكويتي أثناء العدوان العراقي

متغيرات الدراسة المواقف المحبطة	ذكور		إناث		معنوية الفروق بين الذكور والإناث	معنوية الفروق بين عينة الداخل وعينة الخارج
	د ن=٢٥٠	خ ن=٢٥٠	د ن=٢٥٠	خ ن=٢٥٠		
- نقص السيولة النقدية	٢٣٩	٢٥٠	٢٥٠	٢٣٣	١,١٥	١,١٥
- معوقات التحرك من مكان لآخر	٢٤٤	١١٦	٢٥٠	٨٣	١,٨٥	٢٠,٢*
- صعوبة الحصول على الغذاء والسلع الأساسية	٢٣٩	٧٦	٢٥٠	٦٥	صفر	٢٢,٨*
- صعوبة الحصول على الخدمات الحيوية	٢٥٠	٣٥	٢٣٨	٤٧	صفر	٢٥,٩*
- ضم الكويت إلى العراق	٢٥٠	٢٥٠	٢٥٠	٢٥٠	صفر	صفر
- إلغاء جواز السفر الكويتي	١٨٠	٢٣٠	٢٣٢	١٧٨	صفر	٠,٣٢
- إلغاء الجنسية الكويتية	٢٥٠	٢٤٠	١٧٨	١٤٣	١٣,٩٥*	٣,٦*
إلغاء العملة الكويتية	٢٥٠	١٣٠	٢٥٠	١٥٨	٢,١٦**	١٦,٤*
- إلغاء البطاقة المدنية الكويتية	١٧٣	١٩٨	١٨٩	١١٣	٤,٦٥*	٣,٨*
- تفريغ الكويت من مواطنيها	٢٤١	١٧٨	١٨٩	١٩٦	٢,٧*	٤,٥*
- فكرة التبعية التاريخية	١١٣	١٥٨	١١٨	١٦٣	٠,٦٣*	٥,٧*

(*) دالة عند مستوى الثقة ٩٩,

(**) دالة عند مستوى الثقة ٩٥,

لعل النتيجة الأساسية في هذا الجدول تتلخص في أن المواقف المحبطة التي خبرها المواطن الكويتي إنما كانت في مجالين أساسيين الأول يتمثل في معوقات إشباع الحاجات الأساسية، والثاني يتمثل في تدمير هويته الوطنية، وتفاعلت مكونات هذين المجالين بما أدى في النهاية إلى شعور «بالإحباط» تتفاوت شدته من فرد إلى آخر، وفيما يلي توضيح لأبعاد التشابه والاختلاف في خبرة المواقف المحبطة حسب متغير الجنس ومتغير الداخل والخارج في المجالين المذكورين:

(أ) مجال معوقات إشباع الحاجات الأساسية:

(١) نقص السيولة النقدية:

على الرغم من ارتفاع نسبة الاستجابات الدالة هذا العائق بين عينة الذكور ٩٧,٨٪ عن عينة الإناث ٩٦,٦٪ وكذلك بين عينة الداخل وعينة الخارج بنفس النسب تماماً، إلا أن الفروق في كلتا الحالتين غير ذات دلالة إحصائية، وهذا يشير إلى عمومية وعمق المعاناة فمع قدوم العدوان تعطلت الأنشطة التجارية، وفقد المواطنون وظائفهم، وتعطلت أجهزة الصرف الآلي، واستولت قوات العدوان على البنوك والمؤسسات المالية، ولم يكن الحصول على المال ـ من أي مصدر ـ بالعملية السهلة، وحتى لو كان لدى المواطن بعض الأموال، فإن قرار مساواة الدينار الكويتي بالدينار العراقي ألغى قيمة هذه الأموال صحيح أنه وجد نشاط للتكافل الاجتماعي، وقامت القيادة الشرعية بجهود جبارة للتخفيف عن المواطنين وتوفير الأموال لهم، إلا أن الجهود والأنشطة في هذا المضمار واجهتها صعوبات بالغة سواء بالنسبة لهؤلاء الموجودين بالداخل أو بالخارج.

(٢) معوقات التحرك من مكان إلى آخر:

تصل نسبة القائلين بأن هذه المعوقات كثيراً ما سببت لهم مواقف محبطة (٧٢٪) بين الذكور مقابل (٦,٦٦٪) بين الإناث، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في هذا المضمار، كما تبلغ النسبة (٩٨,٨٪) بين عينة الداخل مقابل (٣٩,٨٪) بين عينة الخارج، ويلاحظ من الجدول السابق وجود فارق معنوي بين النسبتين بدرجة ثقة ٩٩, ويلاحظ من الجدول أيضاً أن جميع الإناث في عينة الداخل أفدن بأن معوقات التحرك من مكان إلى آخر كانت بمثابة خبرات محبطة، وتصل نسبة الاستجابة بين الذكور في عينة الداخل إلى (٩٧,٦٪) وهذا يرتبط بما كانت تفرضه قوات العدوان من حظر للتجوال في أوقات معينة، وحتى في الأوقات الأخرى وجدت العديد من المخاطر والقيود التي تعرض حياة المواطن وعائلته للخطر إذا ما تحرك من مكان إلى آخر، من ذلك مثلاً إجراءات التفتيش وما كان

يترتب عليها من إهانة واعتقال، ناهيك عن الإطلاق العشوائي للرصاص من قبل أفراد العدوان وقواته، وكذلك ظروف السرقة أو الاغتصاب ـ فكل هذه الأمور وغيرها قيدت من حركة المواطن الكويتي ومثلت عوائق تعترضه في إشباع حاجاته الأساسية، لم يكن من السهل مثلاً الخروج لشراء الطعام والحاجات أو الحصول على أنبوب الغاز، أو الاطمئنان على الأهل والأقارب والأصدقاء.. إلخ، فالخروج لقضاء مثل هذه الأمور كان محفوفاً بالمخاطر وإذا كان هذا بالنسبة لمجموعة الداخل، فإن هناك بعض معوقات التحرك من مكان إلى آخر بالنسبة لمجموعة الخارج، ويوضح الجدول السابق أن قرابة (٤٠٪) منهم أفادوا بأنهم كثيراً ما خبروا مواقف محبطة نتيجة معوقات التحرك من مكان إلى آخر، وهذه النسبة ليست بالضئيلة حتى وإن كانت تنخفض عن نظيرتها في عينة الداخل، وقد تبين للباحث من خلال مئات المقابلات التي أجراها مع المواطنين الذين كانوا بالخارج أثناء العدوان العراقي، أن أهم المعوقات التي واجهت تحركاتهم تتمثل في سوء الحالة النفسية، الجهل بأماكن البلد الموجودين به أو سوء المعاملة، قلة المال، فقدان الاهتمام، تجنب المخاطر المحتملة للخروج، وهكذا يتضح لنا أن الذين كانوا في الخارج خبروا معاناة القيود على تحركاتهم وليسوا ـ كما يتوهم البعض ـ بعيدين عن هذه المعاناة.

(٣) صعوبة الحصول على المواد الغذائية:

نتبين من الجدول أن نسبة الاستجابات التي تفيد بأن صعوبة الحصول على المواد الغذائية مثلت مواقف محبطة تبلغ (٦٣٪) بين الذكور، نفس النسبة بين الإناث. غير أن هذه النسبة ترتفع بدلالة إحصائية عالية بين مجموعة الداخل (٩٧,٨٪) عن مجموعة الخارج (٢٨,٢٪)، لقد واجه المواطنون الذين كانوا بالداخل صعوبات حقيقية في الحصول على الأطعمة نتيجة تعطل أو انخفاض إنتاجية الجهات المنتجة وكذلك نتيجة توقف عملية الاستيراد، الأمر الذي ترتب عليه ندرة السلع في الأسواق بوجه عام، كما أغلقت العديد من منافذ التوزيع، وتعرض بعضها للسلب والنهب من جانب قوات العدوان ورموزه، كما وضعت إدارة الاحتلال قيوداً على الشراء. وفي بعض الأحيان كان يصل إلى السوق الكويتي بعض الأطعمة والمأكولات

الرديئة من العراق، غيرأنها قليلة. وكثيراً ما كان المواطن يعزف عن تناولها لأسباب نفسية، فإذا أضفت إلى ذلك المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها المواطن إذا توجه لشراء الطعام، ندرك مدى العقبات والعوائق في سبيل إشباع أبسط حاجاته، وقد خفف من حدة الأزمة نسبياً دور الجمعيات التعاونية وجهود التكافل الاجتماعي، من جهة أخرى، فإن بعض الذين كانوا موجودين في الخارج أفادوا بأن صعوبة الحصول على المواد الغذائية كثيراً ما شكلت لهم مواقف محبطة، ويرجع ذلك إلى نقص الأموال، أو عدم توافر أطعمة معينة أو عدم المعرفة الكافية بالأماكن التي يمكن التردد عليها في هذا الشأن.

(٤) صعوبة الحصول على الخدمات الحيوية

رغم تعدد الخدمات الحيوية اللازمة لإشباع الحاجات الأساسية والثانوية للفرد، إلا أن هذه الجزئية من الدراسة ركزت على خدمات محددة هي: الخدمات الطبية خدمات المرافق (الماء والكهرباء والغاز والاتصالات)، ويوضح الجدول السابق أن الحصول على هذه الخدمات اعترضته العديد من العوائق بما يمثل مواقف محبطة للغالبية العظمى من عينة الداخل (٩٧,٦٪) مقابل (١٦,٤٪) لعينة الخارج، والفارق بين النسبتين دال إحصائياً (درجة الثقة ٩٩,) إن ارتفاع نسبة القائلين بخبرة المواقف المحبطة في سياق سعيهم للحصول على الخدمات الحيوية بين عينة الداخل، يفسر في ضوء ما شهدته هذه الخدمات من تدهور وتردٍ جعلها تكاد تكون مشلولة، فالمستشفيات والمستوصفات تحت إدارة الاحتلال تعرضت للتخريب والنهب، وأصبحت خالية من الأدوية باستثناء البسيط منها، وتدهورت القوى البشرية العاملة فيها بعد رحيل الأطباء وأطقم التمريض أو ترحيلهم من قبل قوات العدوان، ولم يكن هناك صيانة للأجهزة والمعدات الطبية، وأهملت النظافة بصورة جعلت المستشفى أو المستوصف مصدراً للمرض وليس للشفاء، وعندما اشتد القصف الجوي من قبل قوات التحالف على القوات العراقية، امتلأت المستشفيات والمستوصفات بجثث العراقيين والمصابين منهم، وأصبح من الصعب، إن لم يكن من المستحيل على الكويتيين

الحصول على أدنى خدمة طبية إلا من خلال الجهود والأنشطة التي قام بها الأطباء الكويتيون في المنازل والعيادات بعيداً عن رقابة سلطات العدوان، كما وقع المواطن الكويتي تحت طائلة التهديد والخوف من انقطاع المياه والكهرباء الذي تكرر كثيراً، سواء بفعل سوء الصيانة أو التعرض للقصف، وعلى الرغم من التوافر النسبي «للغاز» إلا أن الحصول عليه كان يتم بمشقة بالغة في العديد من الظروف بفعل ممارسات قوات العدوان التي تعمدت إعاقة أي عمل ناجح تقوم به الجهود الشعبية الكويتية، أما الاتصالات التليفونية، فقد تعطلت تماماً ووضع بعضها تحت رقابة مخابرات العدوان.

(ب) مجال تدمير الهوية الوطنية:

سبقت الإشارة إلى أن الهوية الوطنية هي كل ما يعبر عن انتماء الفرد إلى دولة معينة ومجتمع معين، فالمسألة لا تقتصر على مجرد الارتباط بمنطقة جغرافية على الخريطة السياسية للعالم وإنما تشمل المشاعر والأحاسيس والتفكير والإدراك والسلوك وكافة الأنماط الثقافية التي تجعل الفرد في حالة تمازج نفسي وارتباط معنوي وجسدي بمجتمع معين، وعندما يمثل تدمير الهوية الوطنية مواقف محبطة للمواطن الكويتي، فهذا يعني أن هذا الموطن لا يتألم لنفسه بقدر ما يتألم لوطنه، ويعني أيضا أنه يدرك تماماً ضرورة استرداد «الهوية» المسلوبة حتى يتسنى له تحقيق ذاته واسترداد كرامته أمام نفسه وأمام العالم، وإشباع كافة حاجاته العضوية والنفسية ومادام العدوان العراقي، هو العائق أمام ذلك، فلابد إذن من التغلب عليه، ولا مانع من التكيف مع الظروف الصعبة لحين تحقيق هذا الهدف.

ونتبين من الجدول السابق أن تدمير الهوية الوطنية، في معناه العام (ضم الكويت إلى العراق) شكل موقفاً محبطاً لجميع مفردات البحث بدون استثناء، يستوي في ذلك الذكور والإناث سواء كانوا بالخارج أو بالداخل، أما بقية الإجراءات التي اتبعها العدوان تنفيذاً لهذا الضم، فإنها تختلف وفق هذه المتغيرات الأربعة (راجع معنوية الفروق بالجدول) ويفسر هذا الاختلاف في أن تلك الإجراءات قد لا تعني

شيئا بالنسبة لبعض المبحوثين طالما أن «الضم» قد أقره العدوان بالفعل، أما بالنسبة للبعض الآخر، فهي تعني الكثير لأنها تؤكد دخول الضم إلى حيز التنفيذ، وقد يراها البعض الثالث تمثل مواقف محبطة لأنها ستزيد من تفاقم الصعوبات التي تواجهه في إشباع حاجاته، فتغيير العملة مثلاً سيترتب عليه نقص الأموال، وتفريغ الكويت من مواطنيها سيترتب عليه فقدان الأموال والممتلكات، وإلغاء الجنسية وجواز السفر والبطاقة المدنية سيترتب عليه تعطيل الكثير من المصالح التي لابد منها، والأهم من ذلك أن إجراءات العدوان في هذا الشأن كان المواطن ينظر إليها على أنها نوع من الإذلال النفسي وطعن في الكرامة الوطنية.

فإذا أخذنا هذه الفكرة في الاعتبار ندرك مدى المعاناة النفسية المرتبطة بالإحباط والصراع النفسي كما خبره المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي. ووفقاً للأرقام المتضمنة في الجدول السابق، نتبين أن هناك بعض الإجراءات الخاصة بتدمير الهوية والتي مثلت خبرة محبطة لعينة البحث بصرف النظر عن متغيري الجنس ومحل الإقامة، وهذه الإجراءات هي ضم الكويت وإلغاء جوازات السفر الكويتية، أما بقية الإجراءات ـ كخبرات محبطة ـ فإنها تختلف بدلالة إحصائية وفق هذين المتغيرين، ويلاحظ أن إلغاء الجنسية، وإلغاء العملة، وإلغاء البطاقة المدنية، وتفريغ الكويت من مواطنيها الأصليين ـ ترتفع نسبتها كخبرات محبطة لعينة الداخل ـ بدلالة إحصائية بين عينة الخارج (٦٤,٢٪) عن عينة الداخل (٤٦,٢٪)، وعلى مستوى متغير الجنس، نتبين من الجدول السابق ارتفاع النسبة بدلالة إحصائية بين الذكور عن الإناث فيما يتعلق بإلغاء الجنسية والبطاقة المدنية وتفريغ الكويت من مواطنيها الأصليين، لقد كانت هذه الإجراءات بمثابة خبرة محبطة للذكور أكثر من الإناث، أما إلغاء العملة، وفكرة التبعية التاريخية فإن نسبة القائلين بها كخبرات محبطة ترتفع بدلالة إحصائية بين الإناث مقارنة بالذكور.

هذه النتيجة تؤكد ارتفاع الحس الوطني لدى الذكور والإناث على السواء لكن الاختلافات بين الجنسين يمكن تفسيرها في ضوء اختلاف الدور والمكانة، واختلاف السمات الشخصية، واختلاف المواقف الضاغطة التي خبرها كل من الذكور والإناث

مرتبطة بمعان وتفسيرات معينة، فإذا كانت استجابات الذكور ترتفع بدلالة إحصائية عن استجابات الإناث في البنود الثلاثة المذكورة ـ فإن ذلك قد يرجع إلى زيادة الوعي السياسي لدى الذكور عن الإناث وبالتالي زيادة تقديرهم للآثار المترتبة على إلغاء الجنسية والبطاقة المدنية وتفريغ الكويت من مواطنيها الأصليين، وإذا كانت استجابات الإناث ترتفع بدلالة إحصائية عن الذكور فيما يتعلق بإلغاء العملة وفكرة التبعية التاريخية فإن ذلك يرجع إلى ما لاحظه الباحث وسجله في مذكراته التي لم تنشر بعد ـ بشأن دور المرأة أثناء الاحتلال فمن جهة أولى كان شراء المواد الغذائية وعبء إدارة المنزل يقع على عاتق المرأة، لا شك أن تغيير العملة معناه تخفيض قيمتها، وبالتالي تواجه المرأة صعوبات أكثر فيما يتعلق بإدارة المنزل، خاصة وأنها قد أدركت أن الظروف تخرج عن نطاق قدرة الزوج في توفير سبيل الإنفاق. ومن جهة ثانية ـ فإن فكرة التبعية التاريخية، إذا كانت بمثابة خبرة محبطة لجميع المواطنين، فإن ارتفاع ذلك بين الإناث يفسر في ضوء بعض الخصائص السيكلوجية للمرأة وهي أن ملكة الحدس كثيراً ما تجنح بها إلى إصدار أحكام سريعة كما أنها أقل قدرة على ضبط النفس ومواصلة النشاط إذا قورنت بالرجل ـ وبالتالي فإن الترويج لفكرة التبعية التاريخية من قبل سلطات العدوان العراقي يمكن أن تفسره المرأة بأن الاحتلال أصبح أبدياً وواقعاً أليماً تزداد معه المعاناة والآلام، دون تدقيق في الحقائق التي تدحض هذا الادعاء الكاذب من قبل رموز العدوان، كل ذلك لا ينفي الدور البطولي للمرأة الكويتية أثناء تلك الفترة العصيبة.

هكذا يتضح لنا قيمة أساسية للنتيجة التي توصلت إليها الدراسة في هذه الجزئية، ففيما وراء النتائج الكمية التي تم توضيح دلالتها المباشرة ـ يبدو شدة تمسك المواطن الكويتي بوطنه وهويته كمصير وحياة، وأن الاعتداء عليهما هو في الوقت نفسه اعتداء على قوت المواطن وطعامه الذي يحفظ له الحياة، إنه عدوان عليه بصفة شخصية، لم يكن هناك فصل بين «الذات» و«الوطن» فكلاهما متداخل مع الآخر، ولعل هذه الفكرة في حاجة إلى تعقيب ذي شقين، يتعلق الشق الأول بالأساس النفسي لممارسات العدوان الهادفة إلى تدمير الهوية الوطنية، أما الشق الثاني فيتعلق بالإجراءات التي اتبعتها سلطات العدوان لجعل هذا التدمير أمراً

واقعاً ـ وكلاهما يفسر ارتفاع نسبة القائلين بأن إجراءات تدمير الهوية الوطنية كانت خبرات محبطة، لأن هذين الشقين يصطدمان بالإرادة الذاتية والجماعية الرافضة للعدوان والتي أدركها رموزه منذ اليوم الأول لدخول الكويت، بالنسبة للشق الأول، يتلخص في أن إجراءات العدوان كانت تتبع سياقات غير موفقة لأفكار بعض علماء النفس مثل (فرويد) و(بافلوف) و(ديوي) ففرويد مثلاً كان يعتقد في فكرة مفادها أنه ليس هناك فائدة من محاولة التخلص من العدوان لدى الإنسان، وأن الصراع بين البشر نادراً ما يتم حسمه دون اللجوء إلى بعض أشكال العنف (VAMIK & VOLKAN, 1979) وأن الفرد مجموعة من العقد والنقائص ومن ثم فإن العمل يجب أن يتوجه إليها وتضخيمها بحيث يتم نشر التخاذل في نفس الفرد ليكون أداة طيعة لتحقيق أهداف معنية، لقد وجدنا سلطات العدوان العراقي تستخدم العنف والقوة الغاشمة بكافة صورها وأشكالها لحسم صراعها مع إرادة الشعب الكويتي الرافضة، وراحت الدعاية والاستخبارات العراقية تنشر وتحاول تدعيم فكرة أن الكويت ـ الدولة والمجتمع ـ هو الفرع، وأن «العراق» هو الأصل، ومن الطبيعي أن يكون الفرع هو الأضعف والأقل شأناً، أما الأصل فهو الأقوى وهو الأساس ولولاه ما وجد الفرع، فالأصل يحمل الفرع ويحميه ويغذيه، وقد روج العدوان العراقي كثيراً لهذه الفكرة من خلال التركيز على دور العراق في حماية البوابة الشرقية للوطن العربي (دول مجلس التعاون) من الخطر «الفارسي»، فهو إذن يحاول أن يحطم إرادة الشعب الكويتي ونشر الإحباط والتخاذل من خلال التأكيد على فكرة عدم قدرة هذا الشعب والمجتمع والدولة على حماية نفسه، أما بخصوص آراء (بافلوف) فقد استغلها العدوان العراقي من خلال محاولة الاستفادة من بعض الفئات الجماهيرية في المجتمع الكويتي مثل فئة (البدون)، والعراقيين الموجودين داخل الكويت، وكذلك الفلسطينيين، فالأماني السياسية والتطلعات الاقتصادية لن تتحقق لهؤلاء إلا من خلال عودة الفرع إلى الأصل في دولة واحدة، لقد حاول العدوان استغلال بعض الفئات والجاليات في الإغراق المتكرر للوسط الشعبي الكويتي بمفاهيم معنية يؤدي تبنيها إلى نتيجة محددة (الإشراط)، وتدور

هذه المفاهيم حول الإلغاء الكامل للمجتمع والدولة في الكويت، كما حاول العدوان استخدام فلسفة «ديوي» من خلال تعميق القناعة بالذات لدى بعض التيارات والفئات التي عبرت عن تعاطفها «الجاهل» مع ما أقدم عليه صدام العراق، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك: بعض نظم الحكم العربية، بعض فصائل التيارات الفكرية ذات الطابع الديني أو السياسي، لقد تم استدراج هؤلاء من حيث لا يحتسبون إلى ما يشبه الاقتناع بأن موقفهم تجاه الأزمة هو «الصحيح» وعبروا عن ذلك إما بتصريحات وكتابات يعوزها المنطق والإنسانية، أو بأفعال غوغائية لم تقدم ولم تؤخر، فكان نصيبهم الخيبة والخذلان أمام العالم كله.

وعندما تعاملت سلطات العدوان العراقي مع مسألة ضم الكويت (إلغاؤه كدولة) انطلقت في خطين متوازيين، الأول يتمثل في تضخيم الذات (وانصب هذا التضخيم على شخصية صدام، وعلى الآلة العسكرية) والثاني يتمثل في التقليل من شأن الأسرة الدولية، حاول العدوان أيضاً التقليل من شأن الولايات المتحدة بصفتها القوة المؤثرة فعلياً في الرفض العسكري والسياسي، وامتد ذلك إلى كل القوى المعارضة للعدوان، هذه الممارسات كانت بمثابة مجموعة من العقبات والعراقيل أمام آمال المواطن الكويتي وتطلعاته، فهي إذن تمثل خبرات محبطة، ولكن الإرادة الذاتية والجماعية، بجانب الجهود المضادة للممارسات العدوان قللت دون شك من تأثير تلك الخبرات، وفي سياق جهود العدوان الرامية إلى نشر الإحباط واليأس قامت دعايته واستخباراته بممارسات وعمليات إجرائية انصبت على هدف تدمير الهوية الوطنية على أمل أن يتقبل المواطن الكويتي ذلك، ويرضخ له، وقد تمثلت تلك الممارسات والعمليات في: (١) تقديم الحجج والادعاءات المرتبطة بفكرة الحق التاريخي، الفرع والأصل، بعض الوثائق الخاصة بمسار العلاقات الكويتية العراقية واستهدفت من ذلك اختراق إرادة المجتمع الكويتي وإرادة المجتمع الدولي. (٢) بلبلة الأفكار: بمحاولة خلق حالة من الشك والاضطراب والفوضى في حقائق الجيوبولتيك وكذلك في الرأي العام الداخلي والخارجي. (٣) محاولة خلق عدم الثقة في الحكومة والقيادة

الشرعية والقوات المشتركة وذلك بهدف تيئيس المواطن الكويتي من الاعتماد على هؤلاء في توفير الأمن والحماية، وهنا سجل الباحث ـ من خلال معايشته الكاملة للأحداث ـ أن الإجراءات التي مارسها العدوان حاولت إثارة الفتن، وشوهت المواقف والقيادات القومية والتاريخية. (٤) تفتيت التماسك القومي: وهنا بثت وسائل الدعاية العراقية المواد «المفبركة» عن استتباب الحياة في بعض المناطق واستمرار العمل في المؤسسات بما يظهر عدم رفض الكويتيين للاحتلال، فكأنها بذلك تحاول نشر وترسيخ فكرة التقبل والرضوخ العام، وتقول للشعب الرافض وللمقاومة المستبسلة هاهم إخوانكم (الغالبية) تسير حياتهم بشكل طبيعي جداً لأنهم عرفوا المنطق فاتبعوه، وعليكم أن تحذوا حذوهم، إن ممارسات العدوان في هذه الحالة تستغل نتائج بعض الدراسات التي أجريت في علم النفس الاجتماعي مثل دراسات (MOSCOVICI, 1969) (DEUTCH, 1969) وكذلك دراسات (PRUITT, 1971) كما أن الأفراد يجدون في المسايرة طريقة للسلوك تساعد الشخص على أن يحظى بالحب والقبول من جانب الآخرين (WALKER & HEYNS, 1962) لقد حاولت الإجراءات التي مارسها العدوان أن تجعل المواطن الكويتي في موقف يجد نفسه وقد شَذَّ أو اختلف عن الآخرين، وبالتالي فعليه أن «يساير» حتى لا يظهر بمثل هذه الصورة الشاذة والمختلفة!! فهي إذن تعمل على تفتيت التماسك الوطني الرافض للعدوان والمقاوم له، كما أرادت إثارة الفتن والشقاق بين أبناء الوطن الواحد من خلال التخريب النفسي الذي يستهدف التأثير على معنوياتهم اعتماداً على التوجيه السيكلوجي حتى يمكنها وأد إرادة القتال والصمود في نفوسهم ويتقبلوا إلغاء هويتهم الوطنية.

الشق الثاني في تفسير ارتفاع نسبة الإحباط من جراء ممارسات العدوان الرامية إلى تدمير الهوية الوطنية للمجتمع الكويتي، يتعلق بمحاولات تفتيت التجمع النفسي العام حول رفض العدوان، وهنا عملت ممارسات العدوان على نشر الإحباط والتراجع من خلال التطبيق الخاطىء لأفكار (Davison, 1967) والمتمثلة في: (١) انتهاء المسألة. (٢) التبديل الخاطىء. (٣) القوة الجبرية. (٤) تكوين العادات والمعايير الاجتماعية. (٥) التكييف القانوني للمسألة.

وفيما يلي توضيح موجز لهذه النقاط من حيث علاقتها بالخبرات المحبطة التي خبرها المواطن الكويتي في غمار المواجهة النفسية مع إجراءات العدوان الرامية إلى تدمير هويته الوطنية:-

(١) انتهاء المسألة:

حاولت سلطات العدوان (تحبيط) المواطن الكويتي وتخذيله من خلال الإيحاء والتأكيد على انتهاء المسألة (وفق ما يريده العدوان بالطبع). وذلك أنه من المعروف في الدراسات النفسية ـ وكذلك في علم الاجتماع السياسي ـ أن الفكرة التي يتجمع حولها رأي الجماعة إذا اختفت أو انتهت، فإن السلوك الذي كان منضبطاً حول تلك الفكرة سيتوقف (حيث لن يكون هناك مبرر لوجوده) لقد اتبعت سلطات العدوان ـ بطريقة ساذجة ـ أسلوب انتهاء المسألة، عندما أعلنت أن قواتها أتت إلى الكويت لمساندة ثورة «شعبية»، وأن تلك القوات «ستنسحب» في غضون بضعة أيام أو أسابيع، لقد أرادت بذلك في البداية أن توحي للشعب بأن المسألة منتهية، وأن عليه أن يضبط سلوكه في اتجاه تأييد «الثورة المزعومة»، وليس في اتجاه مقاومة القوات التي أتت «لنجدته». والواقع أن احتلال دولة ليس بالمسألة البسيطة التي يمكن استخدامها في التضليل أو تفكيك الرأي الجماعي، أو تحويل رأي الفرد، ولاسيما إذا كانت الأحداث ما لبثت أن أكدت الزيف والكذب في هذا المضمار، أضف إلى ذلك أن الإنسان عادة ينظر إلى القوات المعتدية على وطنه وأهله نظرة تحد وعداء حتى بعد مضي زمن طويل، وهل نسي الإنسان في دول العالم الثالث مثلاً احتلال القوى الاستعمارية الأوربية لبلاده رغم مرور سنوات طويلة على التحرر والاستقلال؟ وهل نسي الإنسان الأوروبي احتلال النازية لأوروبا والجرائم التي ارتكبتها خلال الحرب العالمية الثانية؟ لا شك أن هناك قطاعات كبيرة من الجماهير في الدول الأوروبية يربطها الإحساس المشترك بكراهية النازية. إن أسلوب «انتهاء المسألة» ـ والذي اتبعته سلطات العدوان العراقي بالمعنى المشار إليه ـ يزيد احتمالات الإحباط لدى كل المنتمين لوطنهم في حالة تصديق أكذوبة الثورة الشعبية، كما يؤدي إلى

«الإحباط» عندما تعلن سلطات العدوان أنها ستنسحب ثم تعود فتؤكد أبدية وجودها في الكويت.

(٢) التبديل الخاطىء:

وهو من أهم الأساليب التي اتبعتها سلطات العدوان العراقي، وارتبط بزيادة احتمالات الشعور بالإحباط لدى بعض المواطنين الكويتيين، ويتمثل هذا الأسلوب في محاولة سلطات العدوان صرف اهتمام المجتمع الدولي عن مسألة احتلال الكويت إلى مسائل أخرى غير ذات صلة بالمسألة الأصلية وهي الاحتلال، لقد تحدثت سلطات العدوان مثلاً عن احتلال إسرائيل لفلسطين والأراضي العربية، وتحدثت عن «سوء» توزيع الثروة في العالم العربي والإسلامي، وعن «تدنيس» القوات الأجنبية للأماكن المقدسة.... إلخ، لقد رأى المواطن الكويتي في ذلك محاولات من سلطات العدوان خلط الأوراق وتبديل الحقائق وصرف اهتمام الرأي العام الدولي إلى مسائل معقدة لا ترتبط من قريب أو بعيد باحتلال القوات العراقية لبلاده ـ لا شك أن ذلك يناقض الإحساس النفسي العام في المجتمع الكويتي والمنضبط على رؤية محددة، وأي محاولات تناقض هذا الإحساس النفسي العام في المجتمع الكويتي والمنضبط على رؤية محددة، وأي محاولات تناقض هذا الإحساس (والمنضبط في اتجاه معين) إنما تؤدي إلى الإحباط، لأنها تعمل في سبيل استلاب مصادر قوته، خاصة وأن الشعب الكويتي كان يدرك تماماً طبيعة وقوة دول المجتمع الدولي في رفض العدوان وإدانته والتصميم على إخراجه من الكويت.

(٣) القوة الجبرية:

إن القوة الجبرية التي استخدمتها، أو لوحت باستخدامها سلطات العدوان ـ مثلت دون شك عائقاً أمام إشباع المواطن الكويتي لحاجاته ورغباته في الحرية والحياة الكريمة التي كان يعيشها قبل العدوان. لقد استخدمت سلطات العدوان كافة وسائل القوة والعنف والتعذيب لإرهاب الشعب الكويتي وإجباره على أن

يرضخ للاحتلال، واتخذت هذه السلطات من أرض الكويت مجالاً لاستعراض القوة حيث كانت الدبابات والشاحنات، والفرق المدججة بالأسلحة تجوب الشوارع وتقتحم المنازل في رعونة وطيش، كما أخذت دعاية العدوان في إظهار قوة آلة الحرب العراقية، وكيف أنها تتضمن الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، وأن الحرب إذا قامت سيطول أمدها وقد تصبح فيتنام أخرى كما بالغت الدعاية العراقية في الخبرة القتالية «وقوة الشكيمة» التي تتصف بها التحصينات الدفاعية العراقية في الكويت، وكيف أنها ستسحق جنود «الشيطان» وأنه ليس هناك شك في حتمية النصر ولو واحد في المليون . .إلخ. معنى ذلك باختصار أن سلطات العدوان حاولت أن تقلل من شأن القدرات الذاتية الكويتية، وقدرات النظام الدولي على تحقيق أمل المجتمع الكويتي في تحرير الكويت، لا شك أن ذلك يزيد احتمالات الإحباط لدى البعض.

(٤) فرض الثقافة:

لقد عملت سلطات العدوان ـ أثناء فترة الاحتلال ـ على طمس العديد من معالم شخصية المجتمع الكويتي وإحلال معالم شخصية المجتمع العراقي بدلاً منها، ولما كان المواطن الكويتي متمسكاً بذاتيته الثقافية، ويأبى أن تفرض عليه معالم ذاتية ثقافية عراقية، فإن إصرار سلطات العدوان على ذلك كان بمثابة عائق أمام الإحساس النفسي والعادات الاجتماعية الكويتية، لقد قامت سلطات العدوان بتغيير أسماء الأماكن والشوارع، وحاولت طمس معالم التاريخ الكويتي وشخصياته وقادته، وقامت بإحلال إدارة عراقية لشؤون الحياة اليومية للبلاد، وقامت وسائل الدعاية العراقية ـ وفي مقدمتها صحيفة النداء ـ بشن حملات تهدف إلى إجبار المواطن الكويتي على تقبل «الوضع الجديد» والتعايش معه، بحيث تكون الكويت «عراقية» بكل معاني الكلمة ـ لا شك أن ذلك يتناقض مع التكوين النفسي الطبيعي، والانتماء الوطني الذي هو بمثابة جزء أصيل من نسيج الشخصية الكويتية، وعلى الرغم من ردود الفعل الرافضة لدور سلطات

العدوان في هذا الشأن، إلا أن إصرار تلك السلطات وملاحقتها واستخدامها لأبشع صور القمع والعنف، كان كفيلاً بحدوث الإحباط العام.

(٥) التكييف القانوني للمسألة:

إن مشاعر الإحباط لدى بعض من الكويتيين، ترجع في بعض جوانبها إلى المراسيم والتشريعات التي سنتها سلطات العدوان أقرتها حكومة بغداد. لقد أرادت من ذلك «تيئيس» الشعب الكويتي من محاولات رفض العدوان، وكان أخطر هذه المراسيم ذلك المرسوم «الجمهوري» رقم ٢٤٨ الصادر بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٩٠، والقاضي «باستحداث محافظة باسم محافظة الكويت، مركزها قضاء كاظمة» وتوالت بعده المراسيم والقوانين، التي صورتها الدعاية العراقية على أن المسألة قد تم إقرارها دستورياً وقانونياً، وأن الكويت أصبحت جزءاً من العراق، وبالتالي الدعاية العراقية على أن المسألة قد تم إقرارها دستورياً وقانونياً، وأن الكويت أصبحت جزءاً من العراق، وبالتالي فقد قضي الأمر، ولا مجال للنقاش فيه، وأن دابر الأمر مقطوع، وبالتالي فلا جدوى من الرفض، لا شك أن ذلك يزيد من احتمالات الشعور بالإحباط لدى البعض، خاصة وأنه يناقض إرادة جماعية.

هذه الأساليب الخمسة كانت الممارسات التي سلكها العدوان في سبيل إلغاء الهوية الكويتية، وتذهب بعض الدراسات النفسية (العمر، ١٩٩٣) إلى أن الإعلام العراقي (الدعاية) قد سار منذ اللحظة الأولى للاحتلال بخط متواز مع الدبابة العراقية، وحاول طمس هوية الكويت، ويصور أن للعراق أحقية تاريخية، وتناول رموز النظام بالتجريح والاستهزاء وتلفيق التهم لهم، واستند في ذلك كله إلى دعوات واهية باطلة، وتذهب الدراسة المذكورة أيضا إلى القول بأن بداية الأزمة النفسية للفرد الكويتي كانت مع ضم الكويت، على أساس أن الأفراد كان يحدوهم الأمل بأن الاحتلال لابد أن ينتهي في صورة انسحاب وشيك على ضوء الادعاءات الأولى للعراق، لكن إعلان الضم كشف للكويتيين

أن هذا الغزو تنفيذ لأطماع سابقة، وإن لم يتم الانسحاب من الكويت طواعية مما ضاعف الثقل النفسي والذهني على الأفراد.

ثانياً: سلوك وأنشطة التكيف

هناك من يعرف السلوك الإنساني بأنه كل أوجه نشاط الفرد التي يمكن ملاحظتها سواء بالأدوات القياسية أو بدونها مثل حركات الفرد وإيماءاته وطريقة استخدامه للغة وتفاعلاته وتخيلاته ودوافعه وإدراكه وقدراته..إلخ، فبعض هذه الجوانب يمكن ملاحظتها بالعين المجردة، والبعض الآخر يمكن التعرف عليه بمقاييس خاصة، والسلوك الإنساني في حقيقته ناتج عن التفاعل بين عمليات متعددة، وهي بطبيعتها ليست منفصلة عن بعضها البعض وإنما تؤثر كل منها في الأخرى وتتأثر بها بقدر معين (الزيادي، ١٩٧٣) ويتأثر السلوك الإنساني ـ حسب الرؤية الفسيولوجية ـ بالجهاز العصبي المعروف بمتانة تكوينه والترابط بين أجزائه وغرازة مادته الاستجابية، كما يرتبط بالذكاء وقوة الاستعداد والإحساس والتفكير، والمرونة والقدرة على التعلم والتفكير وإعمال العقل والسرعة في الاكتساب وحل المشكلات، والوصول إلى الهدف من أقصر الطرق، ومع التعود يصبح السلوك الإنساني سهلاً سريعاً وحكما لا يحتاج إلى جهد أو تفكير عميق (شفيق، ١٩٨٧)، وإذا كانت هذه أهم خصائص السلوك الإنساني في الظروف العادية، إلا أن بعضها على الأقل يطرأ عليه نوع من التغير والتبدل في الظروف المتغيرة، أو المتبدلة أو المضطربة، حيث يتطلب الأمر مثلاً المزيد من الجهد والتفكير، وقد يصل الأمر إلى أن يغير الفرد من الهدف، أو من الطريقة، وما يترتب على ذلك من تعديل أو تغيير أنماط سلوكية، بحيث يتمكن الفرد من إشباع حاجاته أو تحقيق مطالبه، أو التغلب على ما يواجهه من صعاب، ولعل هذه الفكرة يؤكدها التعريف القائل بأن السلوك الإنساني هو مجموعة من ردود الأفعال لمجموعة من المطالب التي يحتاج إليها الفرد، أو الضغوط الاجتماعية التي عليه أن يواجهها (الهابط، ١٩٨٣)، ويكون الفرد بصدد محاولة توفيق بين مطالبه وظروفه ومطالب وظروف البيئة المحيطة به فيما

يعرف بعملية التكيف. إن الفرد كثيراً ما يجد نفسه في ظروف أو في بيئة لا تشبع كل مطالبه وحاجاته، بل قد تكون مصدر إعاقة لهذا الإشباع، وهنا يتحتم على الفرد بذل الجهد المستمر، وأحيانا المضاعف، للتغلب على الصعوبات التي تواجهه، وحل المشكلات التي تعوق إشباع حاجاته، ودرء المخاطر التي تهدده ـ وهو في ذلك يسلك سلوكاً سوياً في اتجاه التوافق والتكيف.

لا شك أن ظروف الأزمات والكوارث والحروب، تتزايد معها الصعوبات وتتفاقم معها المشاكل والعوائق ومصادر التهديد البدني والنفسي، وتتزايد الضغوط والأعباء ـ الأمر الذي يتطلب من الأفراد جهداً فوق المعتاد حتى يمكنهم التكيف، ففي مثل هذه الظروف تزداد مشاعر عدم ثقة الفرد في البيئة (بيئة الأزمة) بما في ذلك الأشخاص والموارد المادية والنظم الاجتماعية والقانونية والاقتصادية والسياسية، ولعل هذه الفكرة كانت تتجسد بصورة واضحة لدى المواطن الكويتي أثناء فترة العدوان العراقي، لقد خبر المواطنون مشاكل معقدة في كافة جوانب الحياة من طعام وماء ورعاية صحية، وخدمات ومرافق، بجانب التهديد البدني والنفسي، كما أن سيطرة قوات العدوان على البيئة جعلت عدم الثقة الكئيب، إلا أن هناك بعض العوامل التي خففت من ذلك، والتي كان المواطن الكويتي يدركها حقيقة واقعاً، من هذه العوامل مثلاً الثقة في الله والقيادة الشرعية، وموقف المجتمع الدولي، وجهود التكافل، وغير ذلك، فكل هذه العوامل، أثرت دون شك في طبيعة إدراك المواطن الكويتي للمواقف والظروف المحبطة، وأثرت خبراته المعرفية ومعتقداته عن العدوان العراقي، وبالتالي شكلت دعماً نفسياً لهذا المواطن في التكيف الإيجابي مع خصائص البيئة المتأزمة من جهة، ورفض العدوان ومقاومته من جهة ثانية، ولكن ذلك ـ إذا كان قد خفف نسبياً من المعاناة والآلام ـ إلا أن ظروف بيئة العدوان كانت محبطة بكل المقاييس، الأمر الذي تطلب جهودا مضاعفة ومستمرة للتكيف والتوافق مع تلك الظروف والتغلب على ما بها من عوائق، ينطبق ذلك ـ بدرجات متفاوتة ـ على المواطنين من الجنسين، سواء كانوا داخل الكويت، أو خارجها أثناء فترة العدوان ـ والجدول الآتي يوضح هذه الفكرة:

جدول رقم (٥)

أهم أساليب وأنشطة التكيف التي سلكها المواطن الكويتي في سبيل التغلب على معوقات الإشباع

متغيرات الدراسة المواقف المحيطة	ذكور		إناث		معنوية الفروق بين الذكور والإناث	معنوية الفروق بين عينة الداخل وعينة الخارج
	د ن=٢٥٠	خ ن=٢٥٠	د ن=٢٥٠	خ ن=٢٥٠		
ـ جمع المال بقدر المستطاع	٢١٤	١٢١	١٧٨	٥٢	٦,١٧*	١٣,٩٦*
ـ تبديل الدينار الكويتي بعملة أخرى	١٦٨	٤٧	٢٣٤	٢٢٦	١٦,٤*	٨,٧
ـ بيع بعض الممتلكات والموجودات	١٩٨	١١٧	٦٣	٢٣٢	١,٣	٤,٧*
ـ اتخاذ التدابير لتغيير موطن الإقامة إذا لزم الأمر	٣٨	٥٧	٣٥	٩٨	٢,٨٦*	٦,١٨*
ـ إخفاء الأشياء الثمينة	٢٢٢	١٢٣	٢٣١	٩٧	٢,٣**	١٥,٩*
ـ متابعة تطورات الأزمة	٢٤١	٢٢٤	٢٣٨	٢٥٠	,٥٨	,٢٣٦
ـ تخزين السلع والمواد الغذائية	٢٣٨	ـ	٢٥٠	٦٥	٤,٩*	٢٦,٩*
ـ تغيير مكان الإقامة	١١٤	٢١٦	٢٣١	٢٩	٤,٦*	٦,٤*
ـ تقليل الخروج من المنزل	١٨٣	٢٢	٢٥٠	١٦٧	١٣,٨*	١٥,٩*
ـ تغيير عادات النوم	٢٣٧	٢٠١	٢٣٣	٢٠٢	,٢٨٥	٦,٤*
ـ تغيير عادات الطعام	٢٤٣	٢٤٦	٢٣٩	٢٠٨	٥,٤*	٣,٦*
ـ تدعيم العلاقة بمن يمكن الاتصال بهم من الكويتيين	٢٤٢	٢٤١	٢٤٣	٢٣٥	,٠٨١٧	١,٤٧
ـ التفكير في الانتقام من رموز العدوان بأي وسيلة	٢٥٠	٢٥٠	٢٥٠	٢٥٠	صفر	صفر

(*) دالة عند مستوى الثقة ٩٩,

(**) دالةعند مستوى الثقة ٩٥

نتبين من هذا الجدول تأثير متغير الجنس، وتأثير متغير الداخل والخارج على أساليب التكيف مع المواقف المشكلة (Problematic situations) التي خبرها المواطنون الكويتيون أثناء فترة العدوان العراقي، حيث توجد فروق ذات دلالة

إحصائية بين الذكور والإناث، وكذلك بين مجموعة الداخل ومجموعة الخارج فيما يتعلق بمعظم أساليب التكيف الموضحة بالجدول:-

(أ) هناك بعض الأساليب التي ترتفع الاستجابات الخاصة بها بين الذكور ومجموعة الداخل - بدلالة إحصائية - عن الإناث ومجموعة الخارج وتتمثل هذه الأساليب في:-
- جمع المال بقدر المستطاع.
- إخفاء الأشياء الثمينة.
- تغيير مكان الإقامة.
- تغيير عادات الطعام.

(ب) وهناك بعض أساليب التكيف التي ترتفع الاستجابات الخاصة بين الإناث ومجموعة الداخل - بدلالة إحصائية - عن الذكور ومجموعة الخارج وتتمثل هذه الأساليب في:-
- تبديل الدينار الكويتي.
- تخزين السلع والمواد الغذائية.
- تقليل الخروج من المنزل.

(جـ) وفيما يتعلق باتخاذ التدابير لتغيير موطن الإقامة إذا تطلب الأمر، نجد أن الاستجابات بشأن هذا الأسلوب، ترتفع بدلالة إحصائية بين الإناث ومجموعة الخارج عن الذكور ومجموعة الداخل.

(د) وهناك بعض أساليب التكيف، التي لا تختلف الاستجابات بشأنها حسب متغير الجنس، وإنما تختلف حسب متغير مكان التواجد، وتتمثل هذه الأساليب في أسلوبين: الأول هو بيع بعض الممتلكات والموجودات، حيث تبلغ النسبة بين الذكور (٦٣٪) مقابل (٥٩٪) بين الإناث، والفارق بين النسبتين غير دال إحصائياً (قيمة Z = ١,٣)، ولكن حسب متغير مكان التواجد نلاحظ أن النسبة بين مجموعة الداخل (الذكور والإناث) تبلغ ٥٢,٢٪ مقابل (٦٩,٨٪) بين مجموعة الخارج (الذكور والإناث) والفارق بين

النسبتين دال إحصائياً عند مستوى الثقة ٩٩, (قيمة Z = ٤,٧)، أما الأسلوب الثاني فيتمثل في «تغيير عادات النوم»، حيث تصل النسبة الدالة عليه (٨٧,٦٪) بين عينة الذكور مقابل (٨٧٪) بين الإناث، ومن الواضح أن الفارق بين النسبتين طفيف وليس له دلالة إحصائية (قيمة Z = ٢٨٥). ولكن حسب متغير مكان التواجد، فإن النسبة تصل إلى (٩٤٪) بين عينة الداخل مقابل (٨٠,٦٪) بين عينة الخارج والفارق بين النسبتين دال إحصائياً بدرجة ٩٩, (قيمة Z = ٦,٤).

(هـ) أخيراً نتبين من الجدول السابق وجود بعض أساليب التكيف التي لا يظهر فروق دالة إحصائياً بين نسب الاستجابات بشأنها، سواء على أساس متغير الجنس أو متغير مكان التواجد، وتتمثل هذه الأساليب في:-

- متابعة تطورات الأزمة.
- تدعيم العلاقة بمن يمكن الاتصال بهم من الكويتيين.
- التفكير في الانتقام من رموز العدوان.

فعلى الرغم من اختلاف نسبة المبحوثين القائلين بأنهم اتبعوا تلك الأساليب في سياق تعاملهم مع الظروف الضاغطة التي خبروها أثناء العدوان، إلا أن هذا الاختلاف ليس له دلالة إحصائية.

وبصرف النظر عن دلالة الفروق الإحصائية بين مجموعات الدراسة، فإن استجاباتهم في مجملها تعبر إما عن أساليب/أنشطة للتكيف مع الظروف الضاغطة، أو عن رفض العدوان ومقاومته، فعمليات السلب والنهب والمصادرة للأموال والممتلكات وإلغاء العملة الكويتية، من جانب قوات العدوان مثلت ظروفاً ضاغطة ومصادر للتهديد، ولكي يتوافق المواطن الكويتي مع هذه الممارسات، سلك سلوكيات معينة مثل جمع المال بقدر المستطاع، تبديل الدينار الكويتي، بيع بعض الممتلكات والموجودات، إخفاء الأشياء الثمينة، كما أن مخاطر التهديد البدني، المرتبطة بممارسات العدوان، جعلت المواطنين يتخذون

تدابير لتغيير موطن الإقامة إذا استلزم الأمر، ويفكرون في الانتقام من العدوان بأي وسيلة، بجانب تغيير مكان الإقامة وتقليل الخروج من المنزل، وتغيير عادات النوم. كما أن الأزمة الغذائية (نقص الغذاء) بجانب بعض الاعتبارات الأمنية، جعلت المواطن الكويتي يلجأ إلى تخزين السلع والمواد الغذائية ويغير من عادات الطعام، من جهة أخرى فإن تفرق الأسر وتشتت الأفراد، وصعوبة الاتصالات أو استحالتها، والشعور المشترك بالخطر، وكذلك الحاجة إلى الانتماء، جعلت المواطنين يسعون نحو تدعيم علاقاتهم بعضهم ببعض ويتابعون تطورات الأزمة. وهكذا يتضح لنا، أن ظروف العدوان وما ارتبط بها من عوائق وعقبات، صاحبها أنماط سلوكية تكيفية تحت تأثير مجموعة من الحاجات النفسية والعضوية، ولم تكن هذه الأنماط في اتجاه التقبل السلبي للظروف، وإنما كانت في اتجاه التغيير الإيجابي فيها، ويكفي ما يوضحه الجدول السابق من أن جميع عينة البحث كانت تفكر في الانتقام من رموز العدوان بأي وسيلة، وهنا يتضح فاعلية الحاجات النفسية والعضوية في التأثير على أساليب تكيف الفرد والتغلب على العوائق بما يحقق له وجوداً جيداً من المنظور السيكلوجي، ويتضمن هذا الوجود الجيد ـ رغبة الفرد في الحفاظ على قيمه ومعتقداته دون تغيير وألا يتعدى عليها أحد، خاصة وأن الفرد يميل إلى إبقاء الحياة التي يعيشها على ما هي عليه طالما هو متقبل لها، ويحاول أن يوازن بين ما يتناسب مع رغباته من جهة والقيم والاتجاهات والمعتقدات التي لديه من جهة ثانية، لا شك أن المواطن الكويتي كان يرى في العدوان العراقي اعتداءً صارخاً على قيمه ومعتقداته، وأن هذا العدوان يسلبه كل معنى جميل، ويفرض عليه إجباراً وقسراً ما لا يمكن للمواطن أن يتقبله، الأمر الذي شكل عقبات نفسية أمام ممارسات العدوان الهادفة إلى تغيير سلوك هذا المواطن من جهة، وساعد على وجود سلوكيات تكيفية مضادة لما يهدف إليه العدوان العراقي من جهة ثانية.

أضف إلى ذلك أن الأساليب التكيفية للمواطنين الكويتيين ارتبطت أيضاً بمعوقات بيئية اجتماعية لما كان يهدف إليه العدوان، فمن المعروف مثلاً أن الفرد يكتسب المعتقدات والقيم والاتجاهات من البيئة التي نشأ ويعيش فيها، إنه يشعر

نحوها بالولاء والانتماء ويتخذ منها نماذج السلوك، ويشعر بالسعادة والاطمئنان إذا كان محل رضا وتقدير المحيطين، ويتولد داخله الصراع النفسي إذا افتقد ذلك أو إذا تصور أنه مفتقده، وهناك ما يعرف بالقانون العرفي، والذي يشمل كل ما تعارف عليه المجتمع من خطأ وصواب، أثناء الأزمات والمحن الكبرى التي تهدد حياة الفرد والجماعة، تتفاعل المكونات النفسية للفرد مع المكونات المكتسبة من البيئة الاجتماعية بحيث تتولد ـ تلقائياً ـ قيمة أو معيار اجتماعي هو «ضرورة مواجهة الخطر»، وكثيراً ما تضفي الجماعة على أحد أو بعض الأفراد هالة من الاحترام والتبجيل لصدق التزامهم بهذا المعيار، فكأنها بذلك تؤكد أن الانتساب إليها لا ينفصل عن الشروط والمتطلبات التي تحددها جزئياً القيم والمعايير وفق مبدأ الثواب والعقاب (Aronson,1979) في هذا الإطار جاءت أساليب التكيف مع الظروف الضاغطة التي خبرها المواطن الكويتي أثناء العدوان العراقي، لقد ارتبطت تلك الأساليب بمنظومة القيم التي ترفض العدوان، وتتيح نماذج للسلوك التوافقي بما يساعد الفرد في التغلب على المعوقات التي تعرضه حتى وإن تعرض في سبيل ذلك إلى نوع من المشقة والآلام.

ثالثاً: الحيل الدفاعية

من المعروف أنه عندما ينشط الدافع لدى الفرد طالباً الإشباع، فإن الفرد قد يتمكن من إشباعه إشباعاً فورياً وصريحاً وكاملاً، وهذه هي الحالة المثلى لإشباع الدافع، وعند ذلك يحس الفرد باللذة والراحة والانبساط، ويزول ما لديه من التوتر الذي أثاره نشاط الدافع وإلحاحه في طلب الإشباع. لكن الفرد كثيراً ما يفشل في إشباع بعض دوافعه التي تنشط طالبة الإشباع الفوري والصريح والكامل، فقد لا يستطيع إشباعها الفوري، أو الصريح أو الكامل، بل قد يعجز عن إشباعها بأي صورة، وعند ذاك يكون الفرد في حالة نسميها بالإحباط، أي العجز عن إشباع دافع مستثار، ويحس الفرد بنوع من القلق والضيق والاستياء والتوتر والألم النفسي (طه، ١٩٨٨).

وفي ظروف الحروب والأزمات المجتمعية تتأكد صعوبة ـ إن لم يكن

استحالة ـ إشباع الفرد لحاجته ودوافعه بفعل العديد من العوائق، وبالتالي يخبر حالة الإحباط، ويرتبط ذلك بنقص الإمدادات أو ارتفاع أسعارها خاصة الغذاء والمأوى ومتطلبات الحياة اليومية للفرد، بل إن الحياة نفسها تكون عرضة للتهديد، كما يخبر الفرد احتمالات تدمير البنية المادية مثل المباني والطرق وخطوط الكهرباء، والسكك الحديدية، بجانب الخسائر المادية الأخرى الأكثر عمومية وعمقاً من حيث تأثيرها النفسي مثل :ـ

- تكامل تراب الوطن وسيادته خاصة في حالات الهزيمة أو الاحتلال أو الضم أو الهجرة الإجبارية وما يصاحب ذلك من انفعال وتوتر.
- القيم والأعراف الجميلة التي تميز المجتمع، وكذلك الأنشطة المدنية الحرة، والحقوق والحريات المدنية.
- التحكم في الأحداث والسيطرة على البيئة ولاسيما أثناء العمليات العسكرية وبعدها بما تخلفه من خسائر مادية ونفسية.

هذه الجوانب تشهد عادة ارتباكاً عنيفاً بما يحول دون إشباع حاجات الفرد من جهة وبما يجعلهم عرضة للاضطراب النفسي الذي يعوق قدرتهم على التكيف مع الظروف الكارثية من جهة ثانية، وفي هذه الظروف يلجأ الأفراد إلى الطرق المباشرة في التغلب على العوائق، وتتمثل هذه الطرق ـ كما سبقت الإشارة ـ في زيادة المجهود، أو تغيير الطريقة أو تغيير الهدف أو كل هذه الطرق مجتمعة، ولكن صعوبة الظروف وتفاقم الضغوط كثيراً ما يؤدي إلى عدم فاعلية الطرق المباشرة في إشباع الحاجات وبالتالي قد تتولد نوازع عدوانية في اتجاه التغلب على العوائق، وقد يلجأ بعض الأفراد إلى ما يعرف (بالحيل العقلية)، وهي عبارات عن أساليب تصطنعها الشخصية للتوفيق بين القوى الداخلية في الصراع النفسي الذي يخبره الفرد نتيجة عجزه عن إشباع حاجاته ودوافعه، وتتعدد هذه الطرق مثل القمع(Suppression)، والكبت (Repression) والنقل (Displacement) والتسامي (Sublimation) والإسقاط (Projection) والتوحد (Identification) والتحول (Coversion) والتكوين العكسي (Reaction formation)

والتبرير (Rationalization) والنكوص (Regression) والاستدماج (Introjection) والأحلام (Dreams) والتعويض (Compensation) وعلى الرغم من أن الأفراد ـ سواء كانوا أسوياء، أو مرضى نفسانيين ـ يستخدمون مثل هذه الحيل، إلا أن الأسوياء يستخدمونها باعتدال بما يحقق التوافق والنجاح في التعايش، أما المرضى فيسرفون في استخدامها بما يؤدي إلى الفشل في تحقيق التوافق والتوفيق في العلاقة بالواقع والمجتمع، فمرضى الاكتئاب مثلاً يسرفون في استخدام أسلوب الاستدماج، ومرضى الهذاء يسرفون في استخدام أسلوب الإسقاط، الأمر الذي يؤدي بهم إلى سوء التوافق (طه. ١٩٨٨ ص ٥١).

وعلى ضوء معايشة الباحث لواقع المجتمع الكويتي أثناء فترة العدوان، وما تم رصده من خبرات محبطة والعديد من مظاهر الآلام والمعاناة والضغوط، كان المؤكد أن لجوء الأفراد إلى الطرق المباشرة للتغلب على العوائق التي تحول دون إشباع حاجاتهم إما أن تعترضه العقبات بعض الأحيان، أو غير ممكن في البعض الآخر، ونظراً لطول الفترة الزمنية التي خبر فيها المواطنون هذه المواقف المحبطة، تتأكد فرص الاضطرابات النفسية بما في ذلك الإسراف في الحيل الفعلية المشار إليها، وقد كشفت بعض الدراسات والبحوث التي أجريت في المجتمع الكويتي بعد التحرير، ومن بينها دراسات قام بها الباحث ـ عن العديد من الأعراض الاضطرابية بفعل الظروف الضاغطة التي خبرها المواطنون أثناء فترة العدوان العراقي، بطبيعة الحال لا يمكن فصل المواقف والخبرات المحبطة ـ وما يرتبط به من إسراف في اللجوء إلى الحيل العقلية ـ عن هذه الظروف، بل إن هناك اتجاها قوياً تبناه بعض الخبراء النفسيين المهتمين بإزالة الآثار النفسية والاجتماعية التي خلفها العدوان العراقي، يقوم على إمكان تفسير وربط أعراض حالات الاضطراب النفسي بالمواقف المحبطة التي خبرتها أثناء فترة العدوان، ولما كان الإسراف في الحيل العقلية من جانب الفرد، يقع في عداد الاضطراب النفسي، فقد حاولت الدراسة أن تتعرف على مدى شيوع هذه «الحيل» لدى عينة البحث حيث تضمنت الاستبانة عشرة بنود فقط، كل منها يعبر عن «حيلة عقلية» وأمام كل بند عدة استجابات تعبر عما إذا كانت هذه الحيل يخبرها

المبحوث بكثرة واضحة، أو بصورة عادية أو نادرة ـ وجاءت النتائج موضحة أن الحيل العقلية التي عكستها استجابات المبحوثين بصورة مسرفة هي القمع والكبت والنقل والتحويل والاستدماج وأحلام اليقظة، أما بقية الحيل العقلية فلم تتمكن الدراسة من التوصل إلى استجابات كافية تقطع بوجودها بدرجة مسرفة أو عدم وجودها كعرض نفسي، والجدول الآتي يوضح نسبة الاستجابات الدالة على الحيل العقلية التي أقرها المبحوثون بصورة مسرفة :ـ

جدول رقم (٦)

الحيل العقلية حسب استجابات عينة البحث

متغيرات الدراسة المواقف المحيطة	ذكور		إناث		معنوية الفروق بين الذكور والإناث	معنوية الفروق بين عينة الداخل وعينة الخارج
	د ن=٢٥٠	خ ن=٢٥٠	د ن=٢٥٠	خ ن=٢٥٠		
القمع	٢١٨	١٣٧	٢٣٣	٢٣٧	٩,٦*	٦,٤*
الكبت	٢٣٣	١٧٨	٢٤٠	٢٣٨	٦,٧*	٥,٧
النقل	٢٠٦	٢٣١	٢٠٩	٢٣٢	,٣٨٦	٤,٦*
التحول	١٨٧	١١٣	٢٠٩	١٨٩	٦,٧٥*	٦,٥*
الاستدماج	١٦٨	٢١١	٢٢٨	٢٣٥	٧,٣*	٤,٣*
أحلام اليقظة	١٩٨	١٨٢	٢٣٨	٢٤٠	٨,٨*	١,٣

(*) دالة عند مستوى الثقة ٩٩,

ونتبين من هذا الجدول وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث وكذلك بين مجموعة الداخل والخارج فيما يتعلق بالاستجابات الدالة على معظم الحيل الدفاعية، وذلك على النحو الآتي :ـ

(أ) **القمع**: وهو يعني تأجيل إشباع الدافع، أو تأجيل التعبير عنه إلى أن تتهيأ الظروف المناسبة لهذا الإشباع أو التعبير، ونتبين من الجدول السابق ارتفاع نسبة القمع بين الإناث (٩٤٪) بدلالة إحصائية عن

الذكور (٧١٪) كما ترتفع النسبة بدلالة إحصائية بين مجموعة الداخل (٩٠,٢٪) عن مجموعة الخارج (٧٤,٨٪).

(ب) **الكبت**: وهو استبعاد الدافع أو الذكريات أو الأفكار من منطقة الشعور إلى منطقة اللاشعور، فتصبح لا شعورية وإن كانت تظل نشطة وتحاول أن تلج منطقة الشعور مرة أخرى، لكن قوى المقاومة والكبت تحول بينها وبين ذلك، فتشبع نفسها في صورة هفوة أو حلم أو أي عرض نفسي إشباعاً محرفاً. ويوضح الجدول السابق أن نسبة الاستجابات الدالة على الكبت ترتفع بدلالة إحصائية بين الإناث(٩٥,٦٪) عن الذكور (٨٢,٢٪) وكذلك بين مجموعة الداخل (٩٤,٦٪) عن مجموعة الخارج (٨٣,٢٪).

(جـ) **النقل**: وهو عملية نقل دافع أو رغبة مرتبطة بموضوع معين إلى موضوع آخر، فقد يكون الشخص راغباً في إشباع دافع الجوع عن طريق تناول طعام معين، ولكن هذا الطعام غير موجود، فيضطر إلى إشباع الدافع بتناول طعام آخر موجود أو متاح وهناك بالطبع أمثلة متعددة على حيلة «النقل». ونتبين من الجدول السابق عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في الاستجابات الدالة على هذه الحيلة، وإن كانت هذه الفروق قائمة بين مجموعة الخارج (٩٢,٦٪) عن مجموعة الداخل (٨٣٪).

(د) **التحول**: وهو عملية يلجأ فيها الفرد إلى حل صراعه النفسي عن طريق تحويله إلى حل يبدو في عرض جسمي، وكأن الفرد يحول صراعه إلى عرض جسمي بدلاً من التعبير النفسي الخالص عن هذا الصراع الذي يعانيه (وهنا يجب التنبيه إلى أن العرض الجسمي قد لا يكون بالضرورة نتيجة صراع نفسي تحت تأثير الإخفاق في إشباع الحاجات والدوافع)، وقد عرضت على المبحوثين المقولة التالية: «مررت بظروف من الحرمان عانيت بسببها من صراع نفسي أعقبه آلام في أجزاء متفرقة من الجسم»

وكانت النتيجة أن الذين أفادوا بأنهم خبروا هذه الظروف كثيراً جداً تبلغ نسبتهم (٦٩,٨٪) على مستوى العينة ككل. ونتبين من الجدول السابق ارتفاع النسبة بدلالة إحصائية بين الإناث (٧٩,٦٪) عن الذكور (٦٠٪) وكذلك بين مجموعة الداخل (٧٩,٢٪) عن مجموعة الخارج (٦٠,٤٪).

(هـ) **الاستدماج**: وهو عملية يقوم فيها الفرد باستدماج الموضوعات التي يهتم بها في داخل ذاته بحيث تصبح جزءاً من الذات، وهكذا ينفصل عن العالم الخارجي ويتمركز حول ذاته، يوجه إليها اهتماماته ويجد فيها إشباعاته فيستعيض بها عن هذا العالم المحبط. ونتبين من الجدول السابق، ارتفاع نسبة الاستجابات الدالة على الاستدماج ـ بفارق دال إحصائياً بين الإناث (٩٢,٦٪) عن الذكور (٧٥,٨٪)، وكذلك بين مجموعة الخارج (٨٩,٢٪) عن مجموعة الداخل (٧٩,٢٪).

(و) **أحلام اليقظة**: وهي تخيلات يستسلم لها الفرد، ويرى فيها نفسه وهو يحقق آماله، ويشبع دوافعه ويتخطى العقبات التي تحول دون ذلك. ونلفت نظر القارىء إلى أن الدراسة في محاولة للتعرف على هذا الجانب، حددت المحتوى في «تحرير الكويت واندحار العدوان وعودة الحياة الطبيعية»، ويوضح الجدول السابق ارتفاع نسبة الاستجابات بدلالة إحصائية بين الإناث (٩٥,٦٪) عن الذكور (٧٦٪) بينما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعتي الداخل والخارج في هذا الشأن.

وإذا كانت هذه النتائج تدل على ارتفاع نسبة المعاناة، فإنها تتفق مع دراسات أخرى أجريت في مجتمعات خبرت الكوارث والأحداث الصادمة، فقد تبنت إحدى الدارسات التي أجريت في لبنان أن ما يتراوح بين ٦٠٪ و٨٠٪ من الذين كانوا بالداخل أثناء الحرب الأهلية ـ لديهم عوارض العصاب الصدمي، كما دلت نتائج دراسة أخرى أجريت في لبنان بعد استتاب الأمن على أن (٩٣٪) لايزالون يعيشون الخبرات المؤلمة، وأن ٨٣٪ تعرضوا لأحداث تهدد حياتهم،

كما أن (٧٠٪) لايزالون يعانون الأعراض المرضية نتيجة الأحداث الصادمة (شكور وآخرون، ١٩٩٢).

مناقشة وتعقيب

يتضح من العرض والتحليل السابق ارتفاع نسبة الاستجابات الدالة على خبرة المواقف المحبطة لدى عينة البحث، وكذلك ارتفاع نسبة الاستجابات الدالة على أساليب وأنشطة التكيف، المنطق نفسه فيما يتعلق بالحيل العقلية أو الحيل الدفاعية ممثلة في القمع والكبت والنقل والتحول والاستدماج وأحلام اليقظة، ولكن هل يعني ذلك أن «الإحباط» الذي خبره المواطن الكويتي أثناء العدوان العراقي أفضى إلى اليأس والاستسلام؟ إذا رجعنا إلى النتائج السابقة، سنجد أن إجراءات العدوان المتعلقة بتدمير الهوية الوطنية (إلغاء هوية المجتمع والدولة) تمثل غالبية المواقف المحبطة التي خبرها معظم المبحوثين، وإذا رجعنا إلى هذه النتائج أيضا، سنجد أن «التفكير في الانتقام من رموز العدوان بأي وسيلة» يمثل استجابة عامة لدى جميع مفردات البحث، يستوي في ذلك الذكور والإناث ومن كانوا في الداخل والخارج (انظر الصف الأخير من الجدول رقم ٥)، وهنا ـ وحتى تكتمل الدراسة ـ لابد من الإشارة إلى العوامل الفسيولوجية التي تنمي الشعور بالإحباط في ظروف الحرب بوجه عام وكذلك إلى أهم دور الفعل الانتقامية (العدوانية) المضادة للعدوان العراقي من قبل الشعب الكويتي. بالنسبة للعوامل الفسيولوجية تتلخص في أن الإحباط يثير في الفرد والجماعة نوازع العدوانية المضادة على العامل المعوق، أي العامل الذي يحول بين الفرد والجماعة وبين ممارسة الحياة بصورة طبيعية، كما يثير نوازع كراهية وحقد، ومع تطور هذه النوازع تبدأ حالة الصراع النفسي بين دافع العدوانية على العائق وبين قلق العقاب، فالعدوانية إذن تنبع من الإحباط والتهديد، وقد تؤدي إلى تكيف أو سوء تكيف تحت تأثير الخوف المتواصل والحاجة إلى الأمن انطلاقاً من القدرة الديناميكية للفرد والخاصة بإعادة التمثيل الداخلي للأفكار ومايرمز لها (Kooner, 1993)، وهذه النوازع العدوانية تنطلق في النفس بمجرد التأثير البيولوجي كرد

فعل معاكس للمثير، وقد تكون فورية أو مؤجلة، فهي إذن ترتبط بظروف البيئة الخارجية، كما تخضع للتعلم (Berkwitz, 1990)، فإذا أخفق الفرد أو الجماعة في التنفيس عن النوازع العدوانية المترتبة على الإحباط والموجهة ضد مصدره، امتلأت النفوس بالغضب والحقد والكراهية للعائق (مصدر الإحباط)، ويصاحب ذلك قلق الفشل وقلق الشعور بالدونية، وما يرتبط بذلك من اضطرابات في التوازن الهرموني، حيث يزيد إفراز هرمون الإدرينالين وتتسع الشرايين وتضيق الأوردة وتزيد دقات القلب مع استمرار الحنق والغضب وتوتر العضلات بصورة عنيفة كلما تذكر الفرد أنه هو والجماعة التي يعيش بينها يقعون تحت ضغوط نفسية واجتماعية، ويظل الوقع الفسيولوجي يعمل في النفس ويستهلك من الأفراد والجماعات اللحم والدم حيث لا يجد الفرد تنفساً لتوتر قلق الإحباط من هروب أو قتال (Fight or Flight) وهكذا تظل حالة القلق المعروف باسم قلق الحرب (Combat Anexity) هائمة طليقة تلتمس بين حين وآخر مخرجاً طبيعياً، إن أمكن، وإلا فالمخرج غير الطبيعي والسلوك اللاسوي بما في ذلك العدوانية والعنف.

لقد نشأت فرضية ارتباط العدوانية بالإحباط (Frustration-aggression Hyp) في مطلع هذا القرن في كتابات فرويد وماكدوجل، وإن كانت قد اتخذت شكلها النهائي على يد دولارد، ودوب، وميللر، وسيريز في مؤلفهم الشهير الذي صدر عام ١٩٣٩، وقد حاولت نظرية الإحباط ـ العدوانية تفسير ظاهرة العنف من واقع تتبع العلاقة بين الإحباط والعنف وافترضت أن الأحباط سبب للعنف وهو استجابة طبيعية له، ويزداد كلما زاد الإحباط وقد أيدت دراسات أخرى هذا الافتراض، وعلى الرغم من أن الإحباط يسبب العدوان إلا أن ذلك يتوقف على مدى استعداد الشخص للعنف وإدراكه للموقف المحبط وتفسيره له، كما ذهب (MILLER) إلى أن الإنسان يستجيب للإحباط باستجابات كثيرة منها العدوان أو العنف، وإن كان لم يجد أن العدوانية والعنف استجابة فطرية للإحباط (مرسي، ١٩٨٥)، غير أنه أكد صحة المبدأ العام وهو أن الإحباط

الذي يعوق إشباع الحاجات في الوقت المناسب لسياق الفعل يؤدي إلى العدوانية، وتم ذلك من خلال صياغة مبدأ محدد للسلوك يربط بين الإحباط والعدوانية يكون بموجب شكل ما من أشكال الإحباط بين السلوك العدواني، وإذا كانت الإحباطات لا تؤدي دائماً إلى العدوان ـ إلا أنها تنحو ذلك، مع ملاحظة أن سلوكاً آخر ـ مثل المطاوعة قد يتصارع مع الإحباطات أو يتعارض مع التعبير عنها، وفي الوقت الذي تأكد فيه صدق فرضية الإحباط ـ العدوانية، إلا أن هذه الفرضية لا تعالج عدداً من أمثلة السلوك العدواني بطريقة مباشرة ويورد لنا (لامبرت & لامبرت ١٩٩٣) أمثلة محددة على هذه الفكرة: بعض الناس يعبر بصورة أسرع من البعض الآخر عن العدوان عند الشعور بالإحباط، فهل يرجع هذا فقط إلى الإحباطات السابقة (بما فيها العقوبات) أم أن المكافآت المحبذة للعدوان قد لعبت دورها، ومثال آخر: بعض الناس عدوانيون بدون إثارة واضحة: فهل هذا شكل مختلف من السلوك العدواني (سادية مثلاً مقابل النزعة الانتقامية)، وهل مازالت هناك أشكال أخرى للعدوانية يتعلم الناس اللجوء إليها ـ عدوانية مقبولة اجتماعياً بدلاً من العدوانية المضادة للمجتمع، والعدوانية المازحة بدلاً من العدوانية الجادة . . وهكذا؟

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت إلى هذه الفرضية، إلا أن العديد من البحوث النفسية تؤيدها وتدافع عنها (Staub, 1989)، ومن الواضح أن فرضية العدوان ـ الإحباط، كانت مؤكدة الصحة في ظروف العدوان العراقي على دولة الكويت، فقدوم القوات العسكرية وممارساتها البغيضة، وما تعنيه من مغزى سياسي واجتماعي واكبها ونتج عنها رد فعل نفسي امتزج فيه الاضطراب بالرفض، ولكن الأول (الاضطراب) لم يطغَ على الثاني (الرفض)، ولا نكون مبالغين، إذا قلنا إن العكس هو الصحيح، ولم يجد الاضطراب فرصته للظهور بصورة مرضية إلا لماما (أثناء فترة العدوان). وإن كان قد ظهر بصورة واضحة بعد التحرير، ففي أثناء العدوان اجتمعت إرادات الأفراد وانصهرت في إرادة واحدة هي «إرادة القتال» والتي شاء القدر أن تعبر عن نفسها في ظروف

عصيبة، فوجدت الأرضية النفسية الخصبة، ووجدت القيادة الشرعية التي أدارت تلك الظروف بكفاءة، وأيدها في ذلك موقف كل الشرفاء في العالم، فأمدت هذه الإرادة بالقوة على مدار الأزمة، وضخت في شرايينها دماء التجدد والحياة. من خلال إرادة القتال اتجهت نوازع العدوانية والانتقام إلى مصدر الإحباط وأس البلاء (رموز العدوان العراقي).

تعرف إرادة القتال بأنها تلك العزيمة التي انضبطت وتحددت على خوض الصراع المباشر بقصد السعي نحو تحطيم خصم معين ـ كليا أو جزئيا ـ للوصول إلى إكراهه على أمر معين، أو منعه من الإتيان بعمل معين. أي أن إرادة القتال تتحدد بعنصرين: الأول هو الإرادة بمعنى العزيمة والتصميم، والثاني تقابل عضوي (اشتباك)، فإرادة القتال تفترض عنصر القيادة بمعنى عملية تكتيل القوى من حيث ربط مقومات الوحدة البشرية بمختلف أبعاد مسرح الصدام وتوجيه ذلك التكتيل نحو الخصم، ويتضمن ذلك الترابط بين الحركة والفكر، رفض الخوف من المواجهة، الثقة في الهدف المرجو تحقيقه، وقد تتبلور إرادة القتال في شكل صدام عضوي، ولكنها في الوقت نفسه قد تفترض الانزواء لتضميد الجراح، وهي في لحظات الصراع المصيري تصير أكثر إلحاحاً وأشد أهمية، إن الانزواء هنا يعني التعبير عن المرونة التي تفترضها إدارة الصراع، إنه استعداد لقتال أكثر اتساعاً وأشد تصميماً، فالصراع مع الخصم يفترض عمليات متتابعة من الكر والفر، إنه استعداد لقتال أكثر اتساعاً وأشد تصميماً، فالصراع مع الخصم يفترض عمليات متتابعة من الكر والفر، من الإقدام والإحجام، من التطاحن والمهادنة. المتغير الثابت الذي لا يجوز له أن يختفي هو مصير الأمة المحاربة. بهذا المعنى، كانت «إرادة القتال» لدى الشعب الكويتي تعبر عن نفسها في صور متعددة، كمخرج من حالة الإحباط، وكسبيل للتغلب على العوائق والعراقيل أمام السيادة والكرامة الوطنية أولاً وأمام إشباع الحاجات النفسية والعضوية ثانياً.

إن النتائج التي توصلت إليها دراستنا الحالية إذا كانت توضح مدى جسامة الإحباط الذي خبره المواطنون الكويتيون، وضخامة الجهد المبذول في

سلوكيات وأنشطة التكيف، وبعض الحيل العقلية التي تحمل في طياتها أعراض الاضطراب النفسي الذي كشفت تفاقمه دراسات عديدة أجريت بعد التحرير ـ إلا أن ذلك كله لم يحل دون القتال المنظم ضد العدوان العراقي، الأمر الذي يؤكد صحة فرضية «الإحباط ـ العدوانية» دون الدخول في دوامة الجدال حو ما إذا كانت النوازع العدوانية فطرية أو مكتسبة. لقد وجه الشعب الكويتي انتقامه ضد رموز العدوان العراقي، وقد اعترفت تلك الرموز بذلك من واقع الرسائل التي خطتها بيدها ودمغتها بتوقيعها(*)، فالوثيقة رقم (١٢٧) بتاريخ ١١/٤/ ١٩٩٤ ـ والتي وزعتها سلطات العدوان على قادة وحداتها تفيد صراحة بأن المقاومة (الكويتية) تخطط في جميع أرجاء الكويت «للقيام بإطلاق النار في اتجاه السيطرات وفي الشوارع وبعض المناطق المهمة والحساسة» وسوف تقوم بزرع أصابع ديناميت في الأماكن المزدحمة بغرض الإرهاب والتخويف، كما كثفت المقاومة جهودها في ضربات مركزة، وهجمات خاطفة وأساليب متنوعة جعلت رموز العدوان يرون الموت، ليس فقط في أدوات القتال، ولكن أيضاً في الطعام والماء والدواء، وذلك من خلال مسلكين أساسيين هما عمليات العنف المسلح، أنشطة الاستخبارات والمعلومات، وسوف نوضح هذين المسلكين بإيجاز شديد لأنهما بمثابة الإطار العام لجهود تحطيم العوائق التي اصطنعها العدوان العراقي أمام المواطن الكويتي في إشباع حاجاته النفسية والعضوية، كما أنهما بمثابة التطبيق العملي لإرادة القتال حسب المعنى السابق ذكره:ـ

* هذه الوثائق تم العثور عليها بالنسخ الأصلية التي خطها العراقيون، ويبدو أن هجوم قوات التحالف وضغوط المجتمع الدولي قد أفقدت قيادات العدوان توازنها وجعلتها في حالة من الارتباك والفوضى، حيث لم يكن الضباط الكبار يفكرون سوى في الإفلات بجلودهم، فقتل منهم من قتل، وفر الباقون تاركين وثائق هامة والتي من بينها الوثائق التي نتحدث عنها الآن، وحتى يطلع أكبر عدد ممكن من القراء على مضمون هذه الوثائق يمكنهم الرجوع إلى: مركز البحوث والدراسات الكويتية، المقاومة الكويتية من خلال الوثائق العراقية. مراجعة يوسف عبد المعطي. الكويت ١٩٩٣.

أولاً: عمليات العنف المسلح: تكشف وثائق العدوان العراقي عن مدى الرعب والذعر الذي أصاب قواته من جراء إطلاق النار على مفارز التفتيش وسيارات الشرطة والهجوم الخاطف عليها باستخدام الأسلحة الكاتمة للصوت وقتل من فيها من الأفراد، غير أن هذه الأماكن لم تكن ساحة العمليات الوحيدة التي تقوم فيها المقاومة بقتل أفراد العدوان، لقد كان القتل يتم في الأماكن التي يتردد عليها هؤلاء الأفراد مثل الجمعيات التعاونية، أوأثناء سيرهم في الشوارع، وقد يتم استدراجهم إلى أماكن نائية ثم قتلهم، أو اصطيادهم وقتلهم أثناء وجودهم في مثل تلك الأماكن بالفعل، الاستدراج في مثل تلك الحالات، كان يتم من خلال إظهار الود والمسالمة والإغراء بركوب السيارات بغرض التوصيل بجانب الاستدراج كان هناك الاختطاف بأساليب متعددة، حيث يتم تجريد المختطف من سلاحه واحتجازه لفترة معينة بعدها يتقرر مصيره، إما بالقتل وإلقاء الجثة في مكان ظاهر بحيث يراها الأفراد الآخرون (قوات العدوان) أو تسريب معلومات عن أن المختطف/المختطفين رهن الأسر والاعتقال لدى المقاومة، بحيث تنتشر مثل هذه المعلومات على أوسع نطاق ممكن بين أفراد قوات العدوان. لاشك أن هذا الأسلوب كان له تأثيره الموجع في نفوس رموز العدوان، ومما زاد من التأثير أن مجموعات المقاومة كانت تمارس الاختطاف بصورة عنيفة ومباغتة وبسرعة خاطفة بما يصيب الضحية بالعجز التام عن أي تصرف مضاد بما في ذلك استخدام سلاحه أضف إلى ذلك انتشار الأخبار «والشائعات» أيضاً عن كثرة الجثث التي تم العثور عليها وتراكمها في ثلاجات المستشفيات، وفداحة حالات الإصابة، وكثرة اختفاء الأفراد ومعهم أسلحتهم ـ كل هذه العوامل تجعل عمليات الاختطاف ذات تأثير نفسي شديد على أي فرد خاصة في ظروف المعارك والحروب. الجانب الآخر الذي يشكل أحد المعالم البارزة في العمليات التي مارستها المقاومة الكويتية ضد العدوان يتمثل في تفخيخ السيارات وتفجيرها، وهنا ـ توضح وثائق العدوان أن المقاومة اتبعت هذا الأسلوب من خلال أسلوبين، يتمثل الأول في تفخيخ السيارات المتروكة. فقد لوحظ أن أفراد العدوان يلجأون إلى تفكيك السيارات المتروكة للاستفادة من

قطع غيارها، ومجاراة لعملية «التفكيك» هذه، لجأت المقاومة إلى عملية «التفخيخ»، حيث كانت توضع المواد شديدة الانفجار داخل السيارة، وزيادة في الرعب والذعر لجأت المقاومة إلى وضع مواد تضاعف صوت الانفجار وتزيد الشظايا وتحدث الحريق أثناء التفجير حتى يمكن إشاعة الرعب والانهزامية لدى أفراد العدوان، أما الأسلوب الثاني فيتمثل في إعداد سيارات مفخخة وقيادتها إلى أماكن تجمعات العراقيين وتفجيرها في تلك الأماكن، وذلك على غرار ما حدث في سوق الخضار بالشويخ الصناعي، ولعل العديد منا يعرف ما أدى إليه ذلك من قتل وإصابات بالجملة وتدمير شاحنات مدنية عراقية، وعقب هذا الموضوع قل مجيء المدنيين العراقيين إلى الكويت بصورة واضحة، أما الذين كانوا قد قدموا إلى الكويت فقد اضطر الكثير منهم إلى الرجوع للعراق ثانية فاراً بجلده، الأمر الذي كنا نتذكر معه قول الله عز وجل ﴿**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية**﴾.

الملمح الثالث في العمليات العسكرية التي مارستها المقاومة الكويتية ضد العدوان العراقي يتمثل في وضع المتفجرات داخل الأجهزة الكهربائية مثل الفيديو والتلفزيون والكاسيت والثلاجات والغسالات والمراوح وأجهزة التكييف... إلخ، لقد كان العراقيون ـ العسكريون والمدنيون على السواء ـ يقبلون على سرقة أو شراء مثل هذه الأجهزة بثمن بخس تحت طائلة الإجبار والإكراه واستغلال المواقف والظروف، كانت المتفجرات توضع بعناية فائقة داخل الأجهزة المذكورة، بحيث تنفجر بصورة مرعبة ومدوية بعد حملها أو استخدامها بدقائق فتحدث إصابات بالغة وتسبب الرعب والفزع ـ ونظراً لفاعلية هذا الأسلوب فإنه لم يقتصر على الأجهزة التي كانت تعرض للبيع في أسواق الكويت التي كان يتجمع فيها العراقيون، وإنما كان بعضها ينقل للبيع في أسواق العراق.

ثانياً: أنشطة الاستخبارات والمعلومات: شهدت الساحة الكويتية نشاطاً مكثفاً في جمع كل ما يمكن جمعه من معلومات عن العدوان ليس فقط من حيث

الجوانب العسكرية، وإنما أيضاً من حيث أسلوب إدارته للحياة المدنية، واتصالاته وأنشطته ونقاط ضعفه ونقاط قوته... إلخ، مع توظيف هذه المعلومات لخطة القوات المشتركة الخاصة بتحرير الكويت، وكذلك توظيفها في ممارسة عمليات قتالية ضد قوات العدوان، في هذا الخصوص استخدمت المقاومة أجهزة الاتصالات اللاسلكية، والأقمار الصناعية لتبادل المعلومات والاتصال بالحكومة الشرعية، وكذلك بوسائل الإعلام العالمية، وأحيطت هذه التكنولوجيات الاتصالية بالسرية المطلقة مما أوقع سلطات العدوان في حالة من الارتباك والحيرة، إنها تلمس الآثار والنتائج ولا تلمس الفاعلين، كان من الطبيعي أن يلتقط العدوان بعض المكالمات على الهاتف اللاسلكي، ومن هنا اتخذت إجراءات تنسيقية بحيث تتم مكالمات عن موضوعات تصيب العدو نفسياً في مقتل، من هذه الموضوعات مثلا طلب مسدسات كاتمة للصوت، تقوية العلاقة والاتصالات مع بعض القادة العراقيين والاتفاق معهم، خطط لعمليات انتحارية مزمع القيام بها..إلخ ـ أي أن تكنولوجيا الاتصال الحديثة استخدمتهاالمقاومة الكويتية في العمليات العسكرية ضد العدوان من خلال مكالمات مضللة، ولكننا في الوقت نفسه وجدنا نشاطاً سرياً بالغ الدقة في جمع وبث المعلومات الصحيحة وإبلاغها إلى قيادة القوات المشتركة وإلى الشرعية في الطائف بما أفاد خطة التحرير، حتى أن «شوارزكوف» حدد موعد الهجوم البري بناء على معلومات استمدها من المقاومة الكويتية، والواقع أن استخدام الاتصالات اللاسلكية في تضليل العدوان وإرباكه لم يكن بالشيء الجديد في العمليات العسكرية التي مارستها المقاومة ضد العدوان العراقي، فعندما أدرك المواطنون أن قوات العدوان تتصنت على المكالمات التليفونية وتراقبها بصورة صارمة، أخذوا يتحدثون في مكالماتهم عن موضوعات تثير الرعب والقلق لدى أفراد العدوان. من ذلك مثلاً: أن قوات التحالف على «وشك» قصف مقار القوات الخاصة والجيش الشعبي وبالتالي يتعين الانتقال من المنازل القريبة من تلك المقار ـ إن قوات التحالف على «وشك» إنزال مظلي عند انقطاع الكهرباء بمعرفة بعض الكويتيين ـ وضع السموم في المياه والخبز، وتشير وثائق العدوان

إلى أن هذه «الإشاعات» كانت ذات تأثير فعال في إرهاب أفراده (الوثيقة رقم ١٤٣ بتاريخ ١٩٩١/١/٢٤، والوثيقة رقم ١٤٤ بتاريخ ١٩٩١/١/٢٩)، وتتضمن بعض الوثائق تحذيرات من «الطابور الخامس» الذي يسعى لإحداث بلبلة وبث «الإشاعات» وزعزعة الأمن والاستقرار، كما يتضمن البعض الآخر من وثائق العدوان أن الكويتيين يتعمدون فتح مجال للحديث مع الضباط العراقيين ويثيرون موضوعات من شأنها التأثير في روحهم المعنوية.

الجانب الآخر في مسار أنشطة الإستخبارات والمعلومات التي مورست ضد العدوان العراقي يتمثل في المنشورات التي شكلت مصدراً للترقب والحذر والارتباك لدى أفراده خاصة وأن رموز العدوان كانت تفسر مضمون تلك المنشورات على النحو الذي يثير ويدعم المخاوف لديهم، ففي الثالث من سبتمبر ١٩٩٠ أصدرت سلطات العدوان نشرة عامة إلى كافة المخافر تنبههم إلى أن هناك منشورات يتم توزيعها لتحريض الناس على القيام بمظاهرة يكون الصف الأول منها بدون سلاح، بينما تحمل الصفوف الأخرى أسلحة حتى تفاجيء القوات المعترضة (قوات العدوان)، بعض المنشورات كانت تتضمن شائعات وتعليمات معينة بغرض إرباك العدوان من ذلك: دعوة المواطنين إلى القيام بعمل موحد في وقت واحد، عدم الخروج من المنزل في وقت معين، فقد كان المواطنون ـ بمساعدة المنشورات ـ يدركون أن العدو يشعر بالرعب عندما يرى تمسكهم الجماعي بوطنهم وبقيادتهم الشرعية، فكانوا يتجمعون فوق أسطح المنازل في وقت واحد مرددين هتافهم المدوي: الله، الوطن، الأمير.

وبتعليمات من المنشورات أيضا ـ وحد المواطنون سلوكهم عندما كانوا يمتنعون عن الخروج من المنزل في يوم محدد، أو في أوقات محددة، الأمر الذي جعل العدوان يرتبك معتقداً أن شيئاً خطيراً جداً على وشك الحدوث، علما بأنه في الأيام التي كانت تبدو الساحة الكويتية هادئة، كانت قوات العدوان ترى فيها الهدوء الذي ستعقبه العاصفة وأن هناك استعدادات للقيام بأعمال قتالية سواء من جانب المقاومةأو من جانب قوات التحالف (وثيقة صادرة عن سلطات

العدوان تحت رقم ٤٩ بتاريخ ١٩٩٠/٩/١)، وحدة الأسلوب أيضاً تجسدت في وضع العديد من الإشارات الضوئية فوق أسطح المنازل حتى يعتقد العدوان بأن هناك عمليات إنزال أو أعمال عسكرية وشيكة للقوات المشتركة ـ لاشك أن القارىء يتفق معي في أن تلك الأساليب تربك العدوان وتثير خوفه ورعبه، وتشتت جهوده في أشياء قد تستحق وقد لا تستحق، الأمر الذي يجعل أفراده تحت طائلة القلق والترقب والإرهاق النفسي، وكان من الطبيعي أن تتخذ سلطات العدوان أقسى إجراءات ممكنة ضد المواطنين، دون أية نتيجة.

المسألة الأخرى التي نقدمها للقارىء لبلورة ممارسات وفاعلية أنشطة الاستخابات والمعلومات ضد العدوان حسبما يتضح ذلك من وثائق (الوثائق المرقونة من ١٢٨ إلى ١٣٨) ـ تتمثل في الاستعداد الشديد لدى قيادات العدوان لتقبل أي معلومات أو شائعات والتعامل معها بخوف واضح على المستويين الشخصي والاجتماعي، فقد حدث أن تسربت معلومات أو شائعات عن أن حكومة الكويت في المنفى اتصلت بشبكة انتحارية في اليابان لتنفيذ مهام انتحارية ضد القوات العراقية في الكويت، وهنا نجد أن قائد الشرطة يصدر تعليمات «مشددة» باتخاذ كافة إجراءات الحذر والحيطة، مع التدقيق في هويات الأجانب الذين يحملون جوازات سفر «يابانية» في الإطار نفسه تعمم النشرات التي تصدرها سلطات العدوان وتحذر أفرادها بما يثير ذعرهم وارتباكهم من أن مصريين وسوريين ولبنانيين وأفغاناً وأشخاصاً من لندن قدموا إلى الكويت للقيام بعمليات تخريبية واستخبارية ضد القوات العراقية، وأن بعض رعاة الأغنام والجنود الفارين من الخدمة يتعاونون مع المقاومة ويقومون بأعمال تخريبية وتجسسية، إن تقدير حجم المسألة بهذه الدرجة يوضح لنا إلى أي حد كانت فاعلية الجهود التي مارستها المقاومة ضد قوات العدوان ورموزه.

كما تكشف وثائق العدوان عن مدى الرعب الذي أصابه من جراء الأساليب التي يحتمل أن تقوم بها المقاومة فيما يتعلق بتسميم المياه والغذاء والأدوية ففيما يتعلق بتسميم المياه، تفيد وثائق العدوان بأن مخابراته علمت أن

المقاومة ستضع السم في برادات الماء في مناطق مختلفة من الكويت، وأنها تضع مواد سامة في المياه المقدمة للعسكريين عند طلبهم مياهاً للشرب من راكبي السيارات وتؤكد الوثائق على ضرورة «الحذر الشديد»، أما عن تسميم الغذاء فإن وثائق العدوان تحذر الأفراد من تناول الحلوى وبعض الأطعمة، إما لأنها مسممة، أو لأنها منتهية الصلاحية، ولا يقل عن ذلك دلالة، مدى الرعب الذي انتاب قوات العدوان بسبب ما تردد عن تسميم المحاليل والأدوية، فقد وجهت قيادة الجيش الشعبي تعميماً في الوثيقة رقم (١٠٥) الصادرة بتاريخ ٣/ ١٩٩٠/١١ ـ يفيد بأن «مواطنات كويتيات بوزارة الصحة يقمن بتحضير محلول يسبب الجلطة القلبية في حالة شربه ويؤدي إلى الوفاة خلال أربع ساعات من تناوله».

بجانب هذه العوامل، تشير الوثائق التي تركها العدوان إلى ما يؤكد تردي معنويات أفراده وأجهزته، ولعل أبرز مثل على ذلك تلك الوثائق التي تتضمن التعليمات الصادرة إلى الوحدات بشأن اختراق المقاومة للعمق الأمني العراقي، والشعارات التي كان يكتبها المواطنون على جدران المنازل والمؤسسات والمحلات، والأفلام التي تم تصويرها داخل الكويت لتعرض في تليفزيونات دول العالم، وتوفير الأماكن الآمنة لإيواء الأجانب، فقد كان من الأساليب التي مارستها المقاومة ضد العدوان ـ زيارات متكررة قام بها بعض الكويتيين إلى العراق واجتمعوا مع قيادات المعارضة لتشجيعها على القيام بأعمال عنف ضد نظام حكم بغداد، وتشير إلى ذلك الوثيقة رقم (١٠٧) الصادرة بتاريخ ١٠/٢١/ ١٩٩٠ من ديوان الرئاسة العراقي إلى أجهزة المخابرات والأمن الخاص والاستخبارات العسكرية وتطالب الوثيقة «بالقبض» على هؤلاء الكويتيين، من جهة أخرى فإن الشعارات التي كان يكتبها المواطنون على الحوائط والجدران، مثلت هي الأخرى مصدر إرباك وتحد للعدوان، وكلفته الكثير من إجراءات المراقبة والإزالة أكثر من مرة مما أفقده اتزانه بدرجة وصلت إلى حد إحراق البيوت التي كانت تكتب على حوائطها بما يعبر عن تصميم المواطنين على

القتال، وفي الوقت الذي كان المواطنون يكتبون الشعارات التي تعبر عن هذا المعنى، كانوا يزيلون لافتات أسماء المناطق وأرقام القطع والبيوت مما ضلل قوات العدوان في مسعاها الخائب بالبحث عن بعض المواطنين والقبض عليهم، وهكذا وجدنا التحدي المضاد لما تريده قوات العدوان: فالشعارات يعيد المواطنون كتابتها كلما أزالتها هذه القوات أما اللافتات وأرقام البيوت والقطع فإن المواطنين يزيلونها كلما كتبتها تلك القوات، ولا يقل عن ذلك تعبيراً عن تحدي المواطنين موقفهم من الأجانب الذين كانت تبحث عنهم سلطات العدوان لاستخدامهم كرهائن، لقد وفر المواطنون لبعض هؤلاء الأجانب بيوتاً آمنة ورعاية قدر المستطاع رغم أن ذلك كانت عقوبته الإعدام، لاشك أن هذا السلوك من جانب المواطنين الكويتيين إشعار عملي ومباشر لسلطات العدوان بأنها لا خوف منها ولا اعتبار لها حتى ولو وصل الأمر إلى «الإعدام» وأخيراً قام المواطنون بتصوير بعض الأفلام عن الوضع الداخلي في الكويت وتكشف هذه الأفلام الممارسات اللاإنسانية والهجمية التي يقوم بها العدوان، وتم تسريبها خارج الكويت لتعرض في محطات التلفزيون العالمية، الأمر الذي يعبر عن اختراق نظامه الأمني وكشف مآسيه أمام الرأي العام العالمي رغم إجراءاته الصارمة في التعتيم وإخفاق الحقائق، هذه بإيجاز أهم ملامح الجهود التي قام بها شعب الكويت في سبيل تحطيم العوائق وبالتالي التغلب على الإحباط وما يرتبط به من قلق واستياء وتوتر نفسي.

مصادر البحث ومراجعه

(أ) المصادر والمراجع العربية:

١ ـ الزيادي، محمود (١٩٧٣) أسس علم النفس العام. الطبعة الأولى. القاهرة. مكتبة سعيد رأفت. ص ٧

٢ ـ الفقي، حامد عبدالعزيز (١٩٩٣) التأثيرات السلبية المعرفية والانفعالية والسلوكية التي يعاني منها الكويتيون نتيجة الاحتلال العراقي. مجلة عالم الفكر. مجلد ٢٢ . العدد الأول، الكويت، وزارة الإعلام، ص ٢٢ ـ ٧٩

٣ ـ الهابط، محمد السيد (١٩٨٣ التكيف والحصة النفسية. الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث. ص ٢١

٤ ـ شفيق، محمد (١٩٨٧) السلوك الإنساني: مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، القاهرة: الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٠٢

٥ ـ شكور، جليل وآخرون (١٩٩٢) عصاب الحرب اللبنانية، مجلة الثقافة النفسية، العدد العاشر، المجلد الثالث، ص ٩٩٨ ـ ١٠٥

٦ ـ صادق، عادل (١٩٨٥) الطب النفسي. القاهرة. سلسلة كتاب الحرية. رقم ٧ ط ٢ ص ٥٥ ـ ٥٨

٧ ـ طه، فرج عبدالقادر (١٩٨٨) المجمل في علم النفس والشخصية والأمراض النفسية. ص ١ القاهرة. الدار الفنية للنشر والتوزيع. ص ٤٢ ـ ٥١

٨ ـ عوض، عباس محمود (١٩٨٩) الموجز في الصحة النفسية، الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية. ص ٩٠ ـ ٩٦

٩ ـ فهمي، مصطفى (١٩٧٧) الصحة النفسية في الأسرة والمدرسة والمجتمع، القاهرة، دار الثقافة، ص ١٨٠ ـ ١٨٢

١٠ ـ كمال، علي (١٩٨٩) النفس: انفعالاتها وأمراضها وعلاجها. جـ ٢، ط ٤، بغداد. الدار العربية. ص ٥٨٠

١١ ـ لامبرت وليم و لامبرت وولاس أ (١٩٩٣) علم النفس الاجتماعي. ترجمة سلوى الملا. مراجعة محمد عثمان نجاتي. ط ٢، بيروت. دار الشروق. ص ٤٣

١٢ ـ مرسي، كمال إبراهيم (١٩٨٥) سيكلوجية العدوان، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد ١٣، صيف ١٩٨٥ ـ جامعة الكويت. ص ٤٥ ـ ٦٤

١٣ ـ مركز البحوث والدراسات الكويتية (١٩٩٣) المقاومة الكويتية من خلال الوثائق العراقية. مراجعة يوسف عبدالمعطي، الكويت، ص ١٩٣ ـ ٢٢٥

١٤ ـ نجاتي، محمد عثمان (١٩٩٣) علم النفس والحياة. ط ١٥ الكويت، دار القلم، ص ٣٩٧

(ب) المصادر والمراجع الأجنبية:

(1) Aronson, E. (1979) The social animal. 2ed. Ed. San Fransico. W.H. Freeman, P. 108.

(2) Berkwitz, Kooner (1990) Biological Roots: are humans inherently Violent? in: Betty Glad (ed.) Psychological dimensions of war, Violence, cooperation, peace. Newbury Park. Sage Publication, PP 24-40.

(3) Davison, Philips (1967) The public opinion process, in: Reo christenson & Robert Mc williams, (eds) voice of the people. New York. Mc Graw-Hill Book Co. PP 28-39.

(4) Deutch, M. (1969) Field Theory in social psychology. in: G. lindzey & E. Aronson (eds) handbook of social psychology. vol.I. Reading, Mass: Addison-Wesley. chap.6.

(5) Hunt, Dennis, J (1988) The Effects of Stressful life Experiences on The adjustment of adolescent vitnamese. Coc. Res. Ther. (15) PP 375-378.

(6) Johnson, Kendall (1989) Trauma in The lives of children crisis and Stress Management Techniques for Counselors and other professionals. New York Humter House. PP 33-61.

(7) Kooner, Melvin, J (1993) do wr Need enemies? The Orgins and Consequences of rage. in: Robert A. Glick & Steven P. Roosr (eds), Rage, Power and aggression. The Role of affect in Motivation, Development and adaptation. Vol.2. PP 173-193.

(8) Lazarus, R.S. (1969) Patterns of adjustment and human effectiveness. New York. McGraw-Hill P.73.

(9) Mehrobiam, M.8 Ksionzhy (1970) Models for affiliative and Conformity Behaviour. Psychological Bulletin (74). august. PP 102-126.

(10) Moscovici, & Zavalloni, M. (1969) The Group as polarizer of attitudes. Journal of personality and social psychology (12), Hune. PP 125-135.

(11) Pruitt, D.G. (1971) Choice shifts in group discussion: an introductory Review. Journal of personality and Social psychology (20). PP 339-360.

(12) Sherman, Janann (1993) The Jesuit and The General: Sherman's private ware. Psychological Review. Vol. 21(3) PP 255-294.

(13) Staub, Ervin (1989) The roots of Evil: The Origins of genocide and other group Violence. Cambridge University Press.

(14) Vamik, D. & Volkan, M.D. (1979) Cyprus-war and adaptation: a spychoantic history of Two Ethinic groups in Conflict. Charlottesville-Univ. Press of Virgina, P 107.

(15) Walker, E.L. & Heyns, R.W (1962) an anatomy for conformity. Englewood cliffs. N.J. Prentic-Hall.

(16) Weisaeth, Lans & Eitinger, Leo (1991) Research on PTSD and other post traumatic reactions: European literature. part 2. PTSD research Quarterly. Vol.2. No.3, PP.1-8.